أئمّة العَصْر

ابن باز والألباني وابن عثيمين

دراسة علمية لحياة الأئمة الثلاثة في أهم محطاتها ومن مختلف جوانبها

تأليف:

عبد الله ميزر الحداد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أئمَّة العَصْر

ابن باز والألباني وابن عثيمين

دراسة علمية لحياة الأئمة الثلاثة في أهم محطاتها ومن مختلف جوانبها

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أئمَّة العَصْر

ابن باز والألباني وابن عثيمين

دراسة علمية لحياة الأئمة الثلاثة في أهم محطاتها ومن مختلف جوانبها

تأليف:
عبد الله ميزر الحداد

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي رفع أهل العلم درجات وأعلى لهم في الدنيا المقامات وجعلهم في الأخرة من سكان دار الكرامات

والصلاة والسلام على محمد المبعوث بالآيات المؤيد بالبينات وعلى آله وصحبه أهل العزيمة والثبات وبعد:

فإن أهل العلم العاملين به هم الأصل والأساس وهم النبراس وتاج الرأس ومن عرف قدر العلماء حقا وأحبهم صدقا فقد أفلح وأنجح

ولقد بين الله سبحانه فضل أهل العلم في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم

فقال تعالى:(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)

وقال وهو أصدق قيلا وأحسن حديثا:(قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)

وقال جل ثناؤه:(إنما يخشى الله من عباده العلماء)

وأي فضيلة أعظم من ان الله حصر خشيته بالعلماء الذين ابان لهم سبل الرشاد وجعلهم حجة على العباد

وقد ارشدنا نبينا صلى الله عليه وسلم إلى توفير أصحاب العلم فقال فيما ثبت عنه:(ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويعرف لعالمنا حقه)

فالعلماء هم ضياء الطريق ونهجهم واضح السبيل يحمي سالكه من آفات التضليل وشبه التجهيل

ومن حق العلماء علينا محبتهم واجلالهم وتوقيرهم وذكر محاسنهم ونشر علومهم وبيان سيرتهم وأهم شيء السير على طريقهم

وأئمة العلم في زماننا وتاج الرؤوس في دهرنا وبلادنا هم الثلاثة الفرسان والسادة ذوي الورع والإيمان أصحاب الفضيلة والمعالي والإحسان

فأولهم سماحة الإمام الأعظم سيد العلماء العاملين وتاج السادات العابدين وضياء الأكابر المفتين عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

إمام اهل السنة في زماننا وشيخ الملة في عصرنا وأيامنا

والثاني هو فضيلة الإمام الأكبر والشيخ الأسمى بحر العلوم والدرر ومنبع الجواهر والعبر

شيخ الزاهدين وإمام الصادقين صاحب المعالي والسعادة الفقيه محمد بن صالح ابن عثيمين طيب الله ثراه ورضي عن روحه

وأما ثالثهم فهو إمام المحدثين وصفوة النقاد والعاملين الشيخ الهمام والعلم الإمام مجدد الحديث ورائد النهضة والتحديث شيخنا وشيخ الديار الشامية محمد ناصر الدين الألباني أعلى الله درجته ورفع منزلته

وانا على علم مني بجهلي وتقصيري وعدم أهليتي للكتابة عن هؤلاء السادة اهل العلم والورع والعبادة

ولكني أستعين بالله العظيم وأستمد من علمه العميم

وأقدم لك هذا الكتاب المختصر الذي يتحدث عن أهم محطات حياتهم وأعظم ما مر بهم من مواقف وخطوب

وأتحدث فيه عن شيوخهم فهم الأصل وتلاميذهم فهم الفرع وعن مؤلفاتهم فهي ثمرة علمهم الممتدة في الأزمان

وأسأل الله أن أكون قد أوضحت ما أردت وبينت ما قصدت من تبيان محاسن هؤلاء الأكابر وفضائلهم وهم اهل الفضائل

والآن أترك القارئ الكريم مع نفحات من سيرهم وشذرات من حياتهم

سائلا الله التوفيق والإخلاص ومصليا ومسلما على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الإمام ابن باز شمس الحجاز

من حكمة الله سبحانه وتعالى أن سخر للأمة في كل زمان ومكان علماء ربانيين، يحفظون دينه، ويقومون بشرعه خير قيام، ومن لطفه سبحانه أنه يسخر للناس في كل مائة عام من يجدد لهم دينهم، ويهديهم إلى جادة الصواب، وفضائل العلماء كثيرة معروفة؛ ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: ((وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورث علمًا، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر)).

وهذه المقالة عن أحد العلماء الربانيين، والأئمة الصالحين المصلحين، والسادات المجددين؛ وهو الإمام الرباني العظيم، مجدد العصر، عبدالعزيز بن باز، رحمه الله تعالى، وجزاه خير الجزاء.

لقد كان الإمام ابن باز رحمه الله مثالًا رائعًا للعالم الصادق المخلص، الذي أفنى حياته في سبيل نشر العلم، ونصرة الإسلام والدعوة.

إن ابن باز إمام رباني تفوق علمًا وفضلًا وفقهًا على جميع علماء عصره، ومَن بعدهم، بل لقد بلغ الإمام ابن باز مبلغًا عظيمًا في العلم والورع لم يصل إليه إلا القلة على مر الزمان، واستحق بما بلغه رضي الله عنه أن يكون من العلماء النادرين زهدًا وورعًا وعلمًا وتقوى.

وابن باز رحمه الله الذي أمضى عمره في العلم والإفتاء والدعوة وإصلاح الناس جدير بما قاله الشاعر:

هيهات لا يأتي الزمان بمثله

إن الزمان بمثله لَبخيلُ

ولا ريب أن ابن باز من خيرة أولياء الله الصالحين، والعلماء العاملين، ولا شك أنه من كبار المجددين الذين تركوا آثارًا وعلمًا لا يُنسى.

وفي هذا المقال أذكر ترجمة الإمام العظيم عبدالعزيز بن باز رحمه الله تعالى، مبينًا آثاره العظيمة وفضائله الغزيرة، وأسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والعون، والسداد وحسن الثواب.

اسمه ونسبه:

هو الإمام الرباني الجليل، شيخ الإسلام، ومجدد العصر، ومفتي المسلمين، وحيد دهره، وفريد عصره؛ العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله آل باز المعروف بالإمام ابن باز، رحمه الله تعالى، وأجزل له الثواب.

مولد الإمام ابن باز:

في شهر ذي الحجة من سنة 1330 هجرية أشرق هذا القمر المنير، والسيد الجليل؛ ابن باز، الذي ظل يضيء للناس طريقهم إلى يومنا هذا بما تركه من علم وفقه وسيرة يفتخر بها.

ولقد وُلد الإمام ابن باز رحمه الله في مدينة الرياض في أسرة كريمة، محبة للعلم وأهله.

أسرة الإمام ابن باز:

نشأ الإمام في أسرة علمية صالحة، محبة للخير وأهله، ومعروفة بالزهد والورع.

ومن أبرز العلماء في هذه الأسرة الشيخ عبدالمحسن بن أحمد بن عبدالله بن باز، وقد توفي سنة 1342.

ومن علماء هذه الأسرة الشيخ مبارك بن عبدالمحسن بن باز، فالغالب على هذه الأسرة الاشتغال بالعلم والفقه، ولا عجب وهذه الحال أن يأتي منها هذا الإمام العظيم شيخ الإسلام ابن باز، رحمه الله.

أبناء الإمام ابن باز:

تزوج الإمام ابن باز من ثلاث نساء، وكان له منهن أربعة أبناء وأربع بنات، فعدد أولاده الإجمالي ثمانية.

وأولاده هم:

عبدالله، وهو أكبرهم وبه يكنى سماحة الإمام.

ثم عبدالرحمن، وثالثهم أحمد، وكان مرافقًا لوالده في الحضر والسفر.

وأصغرهم خالد، وكان يدرس في جامعة الملك سعود.

وقد سُئل سماحة الإمام ابن باز عن أحب أولاده إليه، فأجاب: (كلهم بمنزلة سواء لا أقدم أحدًا على أحد).

فلله در هذا الإمام ما أعظمه! وما أحسنه!

حلية الإمام ابن باز وصفاته:

كان الإمام يمتاز باعتدال في بنيته، مع هيبة عظيمة، وهو ليس بالطويل البائن ولا القصير جدًّا، مستدير الوجه، حنطي اللون، له لحية قليلة على العارضين، كثة تحت الذقن، ولما كثر بياضها صبغها بالحناء، وهو صاحب بسمة رائعة، عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين، يمتاز بالتوسط في جسمه، وأوصافه فيها شبه من أوصاف العلماء السابقين، وكان حسن الهيئة، جميل المظهر، يحرص على لبس البياض في ثيابه، ويحب ارتداء الثياب الواسعة، وثيابه تصل إلى أنصاف ساقيه، ويزين ثيابه بمشلح وعباءة عودية اللون، وهو سلفي في المظهر والشارة، رحمه الله ورضي عنه.

وقد نقلنا صفاته الجسدية من كتاب (الإنجاز في ترجمة الإمام ابن باز).

وأما أخلاقه وصفاته، فقد كان الإمام ابن باز عظيم الأخلاق، تميز بالخلال الحميدة، والخصال الرشيدة، وعظيم الأخلاق، وطِيب الفِعال

وكان الإمام ابن باز مثالًا في الزهد والعبادة، والأمانة والصدق، كثير الالتجاء إلى الله، عظيم الخوف من الله.

وكان الإمام زكي الفؤاد، سخيَّ اليد، طيب المعاشرة، ناصرًا للسنة، قامعًا للبدعة، واسع العلم، كثير التواضع، عفيف اللسان، عفيف النفس، بعيدًا عن المحارم، مجانبًا للمآثم، مقبلًا على الطاعات، مدبرًا عن السيئات.

وكان شديد المحافظة على الصدق، أمينًا، شديد المحافظة على الأمانة، ولا أدل على ذلك من أن المسلمين في المشارق والمغارب قد ائتمنوه على دينهم وأفكارهم، فهو مفتي المسلمين، ومرجعهم الأول في هذا الزمان، وحبرهم الأعظم.

ولقد كان الإمام حليمًا واسع الصدر، يعفو عن المسيء، ويصفح عن المخطئ، ويغفر لمن أساء له، وكان كريمًا جوادًا شديد الكرم حتى سماه بعض الناس (حاتم الطائي).

فلم تكن مائدته تخلو من ضيوف قط، وكان يلتقي عليها الصغير والكبير، والغريب والقريب.

وكان كثير المساعدة للفقراء والمحتاجين، وربما مرت عليه بعض الأشهر يستدين على راتبه ليعطي الفقراء والمحتاجين، ولربما باع أغراضًا مهمة لإنفاق قيمتها في سبيل الله.

وكان يصرف رواتب بعض الموظفين من ماله الخاص، وجاءته امرأة وأخبرته بأن راتبها قد انقطع، فخصص لها راتبًا من ماله الخاص، رحمه الله، وجزاه خير الجزاء.

وقد نقلنا هذه التفاصيل من كتاب (الإنجاز في ترجمة الإمام ابن باز)، وغيره من المصادر

نشأة الإمام ابن باز وطلبه للعلم:

نشأ الإمام ابن باز في أسرة صالحة، ولما بلغ سن التمييز دخل الكتاب، وتعلم مبادئ الدروس، وبدأ يحفظ القرآن الكريم، وأتم حفظ القرآن الكريم قبل البلوغ وفي عام 1346 هجرية.

وعندما كان عمره ستة عشر عامًا أُصيب بمرض في عينيه، فضعف بصره بالتدريج، ثم ذهب بصره بالكلية عام 1350 هجرية.

ولكن الله سبحانه عوَّضه بنور البصيرة ونور اليقين، فقدَّم للإسلام ما عجز عن تقديمه الكثير من المبصرين.

وما بلغ الإمام ابن باز هذه المنزلة العالية إلا بصدقه وإخلاصه، ويقينه ونور بصيرته.

وهذه التفاصيل رواها الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل العقيل وغيره.

واشتهر رحمه الله بالفضل والعلم والتُّقى مبكرًا، وبرع في العلوم.

ولقد طلب العلم رحمه الله على يد علماء كبار أجلاء من أهل الرياض وغيرهم، وأكثرهم من آل الشيخ أحفاد الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى، كما درس على غيرهم، وساعده في طلب العلم إخلاصه وتقواه، وصلاح نيته وذكاؤه وألمعيته.

شيوخ الإمام ابن باز:

تلقى رحمه الله العلم على أيدي شيوخ كثيرين من أهل الخير والصلاح، وجلس عندهم مُددًا مختلفة؛ ومن أبرز مشايخه:

سماحة الشيخ المفتي العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله تعالى، وهو أجل شيوخه، وأكثرهم إفادة له

لازمه الإمام ابن باز عشر سنوات، وكان له الحظ الأوفر في تحقيق العلم على يدي هذا العلامة، ودرس عليه الكثير والكثير، واستمر في صحبته إلى أن قام العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ بترشيح الإمام ابن باز لمنصب القضاء عام 1357 هجرية.

ومن شيوخه العلامة محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ.

ومن شيوخه العلامة صالح بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل الشيخ، وكان قاضيًا للرياض.

ومن شيوخه الشيخ العلامة سعد بن حمد بن عتيق قاضي الرياض أيضًا.

ومنهم الشيخ حمد بن فارس وكيل بيت المال آنذاك.

والشيخ سعد وقاص البخاري أخذ عليه علم التجويد في مكة المكرمة.

ملازمته للعلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ:

سبق أن الإمام ابن باز لازم العلامة محمد بن إبراهيم عشر سنوات منذ سنة 1347 وحتى سنة 1357 هجرية.

وكانت دراسة الإمام ابن باز على سماحة العلامة محمد بن إبراهيم لها نظامها الخاص، الذي يعتمد على التدرج والبداءة بالأهم؛ فأولًا بدأ الدراسة بالعقائد، فبدأ بالأصول الثلاثة، ثم كشف الشبهات، ثم كتاب التوحيد، وهذه كلها لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، ثم العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية.

وهكذا في بقية العلوم درسها على فضيلة الشيخ المفتي معتمدًا نظام التدرج.

وفي هذا فائدة يعلمنا إياها سماحة الإمام ابن باز وشيخه العلامة؛ وهي أهمية التدرج والانتقال من مرحلة إلى مرحلة، وبهذا يسهل العلم على الطالب، ويستوعب مسائله وأصوله وقواعده.

وكانت أوقات دراسة الإمام ابن باز على سماحة العلامة محمد بن إبراهيم كالآتي:

من بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس في المسجد.

ثم ضحوة النهار في مجلس سماحة المفتي في البيت.

ثم بعد الظهر وبعد العصر وبعد المغرب في المسجد.

والعلامة محمد بن إبراهيم هو - كما بينا - أهم شيوخ الإمام ابن باز وأكثرهم إفادة له، وهو إمام كبير، عسى الله أن ييسر لنا إفراده بالكتابة، ونشر سيرته في الفترة المقبلة.

فهؤلاء أبرز شيوخ سماحة الإمام ابن باز الذين كان لهم تأثير عليه، وكلهم من معادن العلم، وله غيرهم من الشيوخ والأساتذة رحمهم الله جميعًا.

وهذا استفدناه من مقدمة الشيخ عطية محمد سالم لكتاب الإمام ابن باز (محمد بن عبدالوهاب دعوته وسيرته).

تلاميذ الإمام ابن باز:

وأما تلاميذ سماحة الإمام ابن باز فعددهم كثير جدًّا، يُقدَّر بالمئات، وكلهم من أهل الخير والصلاح، والرسوخ في العلم، ولا عجب؛ فشيخهم هو إمام الأئمة عبدالعزيز بن باز.

وسأكتفي بذكر أسماء بعض تلاميذه المشهورين بالعلم والصدق، والذين بلغوا الدرجات العلى في العلم والفقه؛ فمن تلاميذه:

فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين، الفقيه الكبير، صاحب المصنفات العظيمة، والفوائد الغزيرة، والعقيدة السلفية الصافية، وابن عثيمين من كبار علماء أهل السنة، ومن أفاضل الأئمة الصالحين المصلحين، وهو أشهر من نار على علم، رحمه الله تعالى.

ولابن عثيمين الكثير من المؤلفات الكبيرة المتقنة العظيمة التي نصر فيها السنة، وقمع البدعة، وسأكتب عنه ترجمة كاملة لحياته بعد الإمام ابن باز إن شاء الله تعالى.

ومن تلاميذه فضيلة الشيخ العلامة صالح الفوزان، وهو إمام كبير، حفظه الله، وأمد في عمره.

ومن تلاميذه العلامة الكبير صالح اللحيدان، وقد توفي منذ فترة، رحمه الله تعالى.

ومن تلاميذه سماحة المفتي العلامة عبدالعزيز آل الشيخ وهو من بحور العلم، حفظه الله تعالى.

ومن تلاميذه الشيخ العلامة عبدالمحسن العباد، حفظه الله، وهو من كبار العلماء الأجلاء في زماننا.

ومن تلاميذه العلامة بكر بن عبدالله أبو زيد.

ومن تلاميذه الشيخ محمد بن سليمان الأشقر، صاحب كتاب زبدة التفسير، والشيخ سعود بن إبراهيم الشريم إمام المسجد الحرام، وكذلك درس لديه العلامة عثمان الخميس من دولة الكويت، وله غير هؤلاء الكثير من التلاميذ.

وقد جمعنا أسماء تلاميذه من عدة مصادر؛ أهمها موقع الإمام ابن باز الإلكتروني

علوم الإمام ابن باز:

كان الإمام ابن باز - طيب الله ثراه - من كبار العلماء المجتهدين، ومن صفوة الفقهاء العاملين.

وهو - بلا ريب - مجدد العصر، ومجدد القرن، كما شهد له بذلك كبار العلماء، وكما يظهر من مؤلفاته العظيمة.

ولقد منحه الله علمًا غزيرًا، ومعرفة قوية باللغة العربية، جعلته واحدًا من كبار المجتهدين الذين يمكنهم العودة إلى الأدلة الشرعية، واستنباط الأحكام منها.

والإمام ابن باز هو أعظم علماء عصرنا، وأجلُّ أئمة الإسلام في زماننا، ولا أبالغ أبدًا إذا قلت: إن الإمام ابن باز لا يوجد له نظير ولا شبيه في علماء القرون الماضية منذ زمان ابن حجر العسقلاني، هذا على الأقل رأيي ورأي كل من اطلع على كتب الشيخ، ورأى عظيم علمه؛ يقول الشيخ عبدالله بن سليمان المنيع: "لا شك أن شيخنا ووالدنا الشيخ عبدالعزيز – يعني: ابن باز - إمام ومجدد في العصر الحاضر؛ فهو إمام في علم الحديث ورجاله بلا نزاع، وهو إمام في الفقه ودقة النظر، وإمام في الدعوة إلى الله بلسانه وقلمه، ونفسه وماله، وهو إمام في كرم النفس، وكرم اليد، وإمام في النصح في العمل والمثابرة عليه، وإمام في السماحة والتواضع، والقناعة والتقوى والصلاح، إننا لا نستطيع أن نجد في عصرنا الحاضر عالمًا كان له من الثقة والقبول العام والاطمئنان والمحبة والاعتبار ما كان لشيخنا عبدالعزيز بن باز؛ فهو إمام العصر وحبره وعالمه".

وهذا قاله في تقريظه لكتاب (الإنجاز في سيرة ابن باز).

ولقد كان الإمام ابن باز شبيهًا بشيخ الإسلام المجدد محمد بن عبدالوهاب؛ من حيث سعة العلم، وصدق العمل، وعظمة النية، ونشر الدعوة، والحرص على الخير، وغير ذلك.

وبالجملة؛ فقد برع سماحة الإمام ابن باز في مختلف أنواع العلوم، وبلغ فيها مبلغًا لم يبلغه إلا القلة على مر الزمان، واستحق أن يكون المرجع الأول للعلم والفقه في عصرنا.

والإمام ابن باز قد صرف جل اهتمامه للعقيدة والتوحيد، والحديث والفقه، مع عدم إهماله لبقية العلوم، بل هو البحر في كل علم، والحبر في كل باب، رحمه الله تعالى.

مؤلفات الإمام ابن باز:

صنف سماحة الإمام ابن باز الكثير من المؤلفات، وأثرى المكتبة الإسلامية بالكثير من الكتب العظيمة في شتى المجالات، وبلغت مؤلفاته ما يقارب الستين كتابًا، ما بين مطول ومتوسط ومختصر، وكلها كتب عظيمة غزيرة النفع، كثيرة الفوائد.

ولقد ألف ابن باز في كل ما يحتاج إليه المسلمون؛ فألف في العقيدة وما يناقضها، وألف في التحذير من البدع، والحث على السنن، وألف في الفقه والحديث، والدعوة والأذكار، والتراجم، وألف عن المرأة المسلمة، والشباب المسلم، وألف في الرد على الأفكار الدخيلة، وفي الجهاد، وغير ذلك الكثير.

وقد كتب الله لمؤلفاته القبول، وانتشرت بين الناس، واستفاد منها خلائق كثر، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا.

ولما انتشرت مؤلفاته، وتلقاها أهل العلم بالقبول والثناء، صار ذلك من الدلائل على حسن نيته، رحمه الله.

لأنه كما قال العلامة ابن عثيمين في كتابه شرح الأربعين النووية: "قبول الناس المؤلفات من الدليل على إخلاص النية".

والغالب على كتب سماحة الإمام سهولة العبارة، مع تحري الصواب والمنهج الصحيح، وقد تُرجمت كتبه إلى عدة لغات، وانتشرت انتشارًا، حتى وجد بعضها في أدغال إفريقيا، وحكى بعض الدكاترة المصريين أنه رأى صفًّا طويلًا في معرض الكتاب الدولي في القاهرة، فاستغرب لهذا الأمر العجيب، ووقف مع الناس ليعرف الأمر، فإذا به يفاجأ بأن الصف من أجل أنه يوزع كتاب (التحذير من البدع) لسماحة الإمام ابن باز؛ يقول الدكتور: (فكبرت بأعلى صوتي وقلت: جاء الحق وزهق الباطل).

ولنذكر الآن بعض مؤلفات الإمام ابن باز، رحمه الله تعالى:

فمن مؤلفاته:

كتاب الأدلة الكاشفة لبعض الكتاب، وكتاب إقامة البراهين على من استغاث بغير الله أو صدق الكهنة والعرافين.

وكتاب الإمام محمد بن عبدالوهاب دعوته وسيرته، وكتاب بيان معنى كلمة لا إله إلا الله، وكتاب شرح كتاب التوحيد، وكتاب شرح الأصول الثلاثة، وكتاب مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، وكتاب وجوب العمل بالسنة وكفر من أنكرها، وكتاب نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع.

وكتاب الفوائد الجلية في المباحث الفرضية، وكتاب الرسائل والفتاوى النسائية، وكتاب مجموعة رسائل في الطهارة والصلاة والوضوء، وكتاب التحذير من البدع، وكتاب التحذير من المغالاة في المهور والإسراف في حفلات الزواج، وكتاب الجواب المفيد في حكم التصوير، وكتاب هكذا حج النبي صلى الله عليه وسلم، وكتاب الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، وكتاب حكم الغناء، وكتاب الغزو الفكري ووسائله، وكتاب العقيدة الصحيحة وما يضادها، وكتاب وجوب لزوم السنة والحذر من البدعة.

وله من المؤلفات غير ذلك الكثير، ومن أراد الاستقصاء فليراجع كتاب (الإنجاز في ترجمة الإمام ابن باز).

المناصب التي تولاها الإمام ابن باز:

من الطبيعي بعد أن عرفنا شخصية الإمام ابن باز، وتعرفنا على فضله وعلمه، وفقهه وتقواه، وورعه وتقدير الناس له، ومحبتهم له - من الطبيعي بعد هذا أن نجده تولى المناصب الرفيعة، بل تولى أهم المناصب وأرفعها؛ كمنصب المفتي، ورئيس هيئة كبار العلماء.

والتزم سماحة الإمام ابن باز في كل المناصب التي تولاها الأخلاق العالية، والخصال الحميدة، والورع، والعدل، وحب الخير للناس، ومساعدة الناس، وإرشاد المسلمين وتعليمهم، وقام بكل ما يمليه عليه دينه وخلقه الرفيع.

وأثبت رحمه الله أنه خير من تولى الإفتاء والقضاء وهذه المناصب العالية، وأنه نموذج فريد من الناس قلما يجود الزمان بمثله.

ولنذكر الآن المناصب التي تولاها سماحة الإمام رحمه الله:

1- تولى الإمام ابن باز القضاء في منطقة الخرج عام 1357 هجرية.

ولم يكن رحمه الله راغبًا في القضاء، إلا أنه تولاه بإلزام من سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ومن الملك عبدالعزيز آل سعود.

وبقي فيها قاضيًا أكثر من أربع عشرة سنة، وأحبه أهلها، وفرحوا بقدومه، وخدم الخرج وأهلها خدمات جليلة، وقصده طلبة العلم من داخل السعودية وخارجها للدراسة عليه، وقصده الطلاب من اليمن والعراق وفلسطين وغيرها، وكثر عددهم، حتى بُنيت لهم حجرات خاصة بأمر من الملك عبدالعزيز، واستأجر سماحته لبعضهم بيوتًا بسبب امتلاء الحجرات، فكان قاضيًا ومعلمًا في آنٍ واحد.

وكان آية في العدل بين الخصوم في مجلس القضاء، وكان يتثبت قبل الحكم ويحكم بالعدل، وكثيرًا ما يدعوهم إلى الصلح رحمه الله تعالى.

2- تولى الإمام رحمه الله التدريس في المعهد العلمي بالرياض سنة 1371 هجرية بأمر من سماحة المفتي محمد بن إبراهيم آل الشيخ.

ثم تولى الإمام ابن باز التدريس في كلية الشريعة، وتخرج على يديه أفواج من أهل العلم والصلاح، وقد ذكرنا بعضهم، وكان يدرس الحديث والعقيدة والفقه والنحو، وكان خير مثالٍ للمعلم الجاد الذي يريد فلاح تلاميذه، واستمر مدرسًا حتى عام 1380 هجرية.

3- عُيّن سماحة الإمام ابن باز نائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة عام 1381 هجرية بأمر من سماحة المفتي محمد بن إبراهيم، ثم عُيّن رئيسًا للجامعة الإسلامية عام 1390 هجرية، واستمر رئيسًا لها حتى عام 1395 هجرية.

وكان لسماحة الإمام دور كبير في نهضة الجامعة الإسلامية وازدهارها، بل هو الذي ارتقى بها إلى القمة، وإلى أعلى درجات النهضة، حتى أصبحت صرحًا علميًّا مرموقًا، ومن أراد الاطلاع على إسهامات الإمام فيها فليراجع: (الإنجاز في ترجمة الإمام ابن باز).

4- تولى سماحة الإمام رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، برتبة وزير، عام 1395 هجرية، وكان له أطيب الأثر فيها كما هي عادته في كل ما تولاه.

5- تولى سماحة الإمام ابن باز منصب المفتي العام للمملكة العربية السعودية، بالإضافة إلى رئاسة هيئة كبار العلماء، ورئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، وذلك عام 1413 هجرية، واستمر حتى وفاته رحمه الله تعالى.

كما تولى سماحة الإمام رحمه الله عدة مناصب أخرى؛ وهي:

6- رئاسة اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

7- رئاسة وعضوية المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.

8- رئاسة المجمع الإسلامي بمكة المكرمة التابع للرابطة أيضًا.

9- عضوية المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

10- عضوية الهيئة العليا للدعوة الإسلامية.

11- عضوية الصندوق الدائم للتنمية الشبابية.

فانظر - رحمك الله - كيف تولى سماحة الإمام ابن باز كل هذه المناصب الرفيعة التي تنوء بحملها العصبة أولو القوة، ومع ذلك حملها سماحة الإمام وقام بأداء حقها خير قيام، وساهم في نهضتها وازدهارها أيما إسهام.

ولولا خشية الإطالة، لذكرنا مآثره وإسهاماته الجليلة في هذه المناصب، فقد ترك في كل عمل تولاه أثرًا لا يُنسى، فرحمة الله على هذا الإمام الجليل.

وفاة الإمام ابن باز:

بعد حياة عظيمة مليئة بالعلم والفقه، زاخرة بالعطاء والإحسان، وبعد تسعين سنة قضاها في العلم والدعوة، وخدمة الإسلام، ونفع الناس والإحسان، وتقديم الغالي والنفيس للعلم وأهله وطلابه، وللأمة الإسلامية، قضى الله أن يرحل سماحة الإمام ابن باز عن هذه الدنيا الفانية إلى ثواب الله وجنات النعيم إن شاء الله تعالى

توفي سماحة الإمام ابن باز فجر الخميس في السابع والعشرين من محرم سنة 1420 هجرية في مدينة الطائف، وصُلِّي عليه في المسجد الحرام، ثم دُفن في مقبرة العدل بمكة المكرمة، وحضر جنازته والصلاة عليه خلائق كثيرة من الناس، وكان وفاته خسارة كبيرة، وفاجعة عظيمة للأمة الإسلامية جمعاء، كيف لا وقد مات إمام العصر، وشيخ الزمان، وحيد الدهر، وفريد الأوان.

وغاب قمر من أقمار هذه الأمة، ومات الإمام الجليل الحبر العظيم ابن باز، الذي طالما نفع الأمة الإسلامية، وقدم الغالي والنفيس من أجلها، حتى صار مفتي الأمة وشيخ المسلمين.

قصائد في مدح الإمام ابن باز:

أُنشدت في مدح الإمام ابن باز الكثير من القصائد قبل وفاته وبعدها، ومدحه كثير من الناس، وهو أهل لكل مدح وثناء، وسأذكر بعضًا مما قيل في مدح الإمام من الشعر:

قال عائض القرني مادحًا سماحة الإمام ابن باز:

قاسمتك الحب من ينبوعه الصافي

فقمت أنشد أشواقي وألطافي

عفوًا لك الله قد أحببت طلعتكم

لأنها ذكرتني سير أسلافي

والمدح يا والدي في غيركم كذب

لأنكم لفؤادي بلسم شافي

يكفيك يا شيخ أن الناس قد شُغلوا

بالمغريات وأنت الثابت الوافي

وأنت جالست أهل العلم فانتظمت

لك المعالي ولم تولع بإرجاف

ما أنصفتك القوافي وهي عاجزة

وعذرها أنها في عصر إنصاف

يكفي محياك أن القلب يعمره

من حبكم يا والدي أضعاف أضعاف

وقال ناصر بن مسفر الزهراني يمدح الإمام ابن باز:

يا مرحبًا بإمام قدره عال

وصوته عندنا مستعذب غال

يا مرحبًا يا إمام الحق أنفسنا

قامت تحييك في حب وإجلال

ما أعظم الأنس يا أغلى الضيوف فقد

جدتم علينا وأنتم أهل أفضال

من ضيفنا؟ خير من في الأرض في نظري

شهادة ما أنا عنها بميال

يا رائد العلم في هذا الزمان ويا

مجدد العصر في علم وأعمال

في الجود مدرسة في البذل مملكة

في العلم نابغة أستاذ أجيال

الحق مذهبه والنصح يعجبه

والذكر يطربه يحيا به سال

يا درة العصر يا بحر العلوم فما

رأت لك العين من ند وأمثال

مثل ابن حنبل أو مثل ابن تيمية

أو البخاري في إسناده العالي

لكننا يا حبيب القلب نبصرهم

كأنما مثلوا في شخصك الغالي

وبهذا أرجو أن أكون قد جليت سيرة هذا الإمام العظيم مجدد العصر عبدالعزيز بن باز، وأن أكون قد أظهرت هذه السيرة العظيمة.

وأنا مقر بالتقصير، معترف بالعجز، ولكني اجتهدت لأبين شيئًا من حياة هذا الرجل، الذي لا أظنه يتكرر.

ولا ريب أن سماحة الإمام ابن باز هو أعلى علماء هذا العصر قدرًا وأكثرهم علمًا.

وأنا وكل طالب للحق نحب سماحة الإمام في الله حبًّا كبيرًا، فهو مجدد العصر، وإمام الدعوة في عصرنا رحمه الله تعالى.

وبهذا أكون قد أنجزت ما أردت كتابته في هذا المقال عن سيرة سماحة الإمام، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين أجمعين

الإمام ابن عثيمين الفقيه الكبير والزاهد العظيم

في كل زمان من الأزمنة، وفي كل عصر من العصور يهيئ الله للأمة علماء ربانيين، وفقهاء وزهادًا، يحفظون للأمة دينها، وينشرون العلم والمنهج الصحيح، الذي يرتضيه الله ورسوله صلوات الله وسلامه عليه.

ومن هؤلاء العلماء الربانيين الكبار بل من أوائلهم وعظمائهم: صاحب الفضيلة والمعالي، بحر العلوم، ومستودع الحكم؛ سماحة الإمام العلامة محمد بن صالح العثيمين؛ المعروف بابن عثيمين رحمة الله عليه.

لم يكن ابن عثيمين عالمًا وفقيهًا فحسب، بل كان شمسًا تضيء الدرب وقمرًا ينير الطريق.

ابن عثيمين هو إنسان نادر من الربانيين الكبار الذين وصلوا إلى أعلى درجات الولاية، وأعظم درجات الاصطفاء.

كان الإمام ابن عثيمين عالمًا وفقيهًا، ومربيًا عظيمًا، ومفسرًا ومحدِّثًا، وبعبارة مختصرة: كان ابن عثيمين موسوعة متنقلة تمشي على الأرض.

إن الكلمات تعجز، والعبارات تقف حائرة عندما يأتي الحديث عن إمام الأئمة، وشيخ الشيوخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى.

فإذا تحدثت في العقيدة والتوحيد، تجد ابن عثيمين في المرتبة الأولى مقررًا وشارحًا ومصنفًا.

وإذا أتيت إلى الحديث والتفسير، تجد ابن عثيمين قد نال من ذلك النصيب الأوفى؛ فهو بعلمه الغزير خليفة أحمد والبخاري، ووريث ابن كثير والطبري.

وأما في الفقه والنحو، فمن يدرك ابن عثيمين؟ ومن يستطيع اللحاق به؟ وحسبه أنه مؤلف السفر العظيم المسمى (الشرح الممتع على زاد المستقنع).

وأما في الزهد، فابن عثيمين هو الزاهد الكبير الذي ترك الدنيا ومغرياتها ومتعها، ورغب فيما عند الله، وما عند الله خير وأبقى.

لقد ضرب سماحة الإمام ابن عثيمين مثلًا رائعًا في الزهد، ذكَّرنا من خلاله بسير أسلافنا، وبطريقة الصالحين الكبار؛ كالثوري، وأحمد بن حنبل.

إن ابن عثيمين هو نسيج وحده، وهو أمة وحده، بلغ العلياء في العلم والفقه، والورع والزهد، وحب الخير للناس، ومساعدة الناس، وإرشاد المسلمين وتعليمهم أمور دينهم، واستحق الإمام ابن عثيمين بعلمه وورعه أن يكون من أكابر المجددين والمصلحين، الذين يجددون للناس دينهم ويصلحون أحوالهم.

وأنا على تقصيري وعجزي لست أهلًا للتحدث عن إمام الإسلام في زماننا، وشيخ الشيوخ؛ العلامة الفقيه الموسوعي ابن عثيمين رحمه الله تعالى، ولكنه جهد المقل المعترف بالعجز والتقصير، ساعيًا لتوضيح العلامة ابن عثيمين، وتجلية حياته ومواقفه العلمية؛ راجيًا من الله العون والتوفيق والسداد، وأن أنصف هذا الإمام العظيم من خلال بيان سيرته.

اسمه ونسبه:

هو الإمام الرباني العظيم شيخ الإسلام والمسلمين، إمام أهل السنة في زماننا، العلامة الفقيه المفسر المحدث الأصولي المتفنن الزاهد الورع، أبو عبدالله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين المقبل الوهيبي التميمي، المعروف بالإمام ابن عثيمين رحمه الله تعالى، وأجزل له الثواب

مولد الإمام ابن عثيمين:

ولد الإمام ابن عثيمين في مدينة عنيزة إحدى مدن القصيم في المملكة العربية السعودية، في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة 1347هجرية.

ومنذ ذلك الحين ما زال الإمام ابن عثيمين منارة علم وهدى يهتدي بها السائرون، ويستضيء بها المسلمون.

ولقد ولد الإمام ابن عثيمين في أسرة كريمة معروفة بالدين والاستقامة؛ مما كان له أطيب الأثر في نشأته.

أسرة الإمام ابن عثيمين:

ولد الإمام في أسرة علمية صالحة، ومن أسرته وشيوخه الذين تتلمذ عليهم جده لأمه الشيخ عبدالرحمن بن سليمان آل دامغ رحمه الله تعالى.

والإمام ابن عثيمين متزوج من امرأة واحدة، وله خمسة أولاد هم:

عبدالله، وعبدالرحمن، وإبراهيم، وعبدالعزيز، وعبدالرحيم.

وللإمام من الإخوة اثنان؛ هما:

الدكتور عبدالله كان رئيسًا لقسم التاريخ في جامعة الملك سعود في الرياض، والأمين العام لجائزة الملك فيصل، وله كذلك أخ اسمه عبدالرحمن.

حلية الإمام ابن عثيمين وصفاته:

كان الإمام ابن عثيمين ربعة من القوم، كث اللحية، وهي لحية قد اشتعلت شيبًا.

أزهر اللون، مليح الوجه، متبلج الأسارير، وضَّاء الجبين، باسم المحيا، أكحل العين، ذكي النظر، خافض البصر، ضليع الفم، براق الثنايا، لطيف الروح، خفيف الجسم، قليل اللحم، قوي العزم، خفيض الصوت، بديع النغمة، إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم فعليه البهاء، جميل الحديث، فصيح إذا لفظ، نصوح إذا وعظ، لا يقول هجرًا، ولا ينطق هذرًا، كلامه يثمر علمًا، ويبين حكمًا، ويوضح شرعًا.

هذا عن صفات الإمام الخلقية والجسدية، وأما عن أخلاقه وشمائله، فقد كان الإمام ابن عثيمين واسع العلم، غزير المعرفة، متبعًا للسنة، إمامًا لأهلها، مجانبًا للبدعة، متصديًا لأهلها.

كان عظيم الأخلاق، طيب الشمائل، كريم الروح، سخي النفس، عَلَمًا من أعلام المسلمين، وشيخًا من شيوخ المؤمنين.

كان الإمام ابن عثيمين أمة في رجل، نعم كان أمة وحده، جمع الله فيه الفضائل، ووهب له المحاسن، ورفع في العالمين درجته.

وليس على الله بمستنكر

أن يجمع العالم في واحدِ

كان الإمام ابن عثيمين زاهدًا عظيم الزهد، ورعًا شديد الورع، علمًا من أعلام الزهد، ولا أبالغ إن قلت: إنه زاهد الزمان الأوحد.

كان الإمام ابن عثيمين رحمه الله رضي الخلق، حسن السمت، لطيف التعامل، خفيف الظل، دائم الابتسامة، حسن الوجه، متهلل الجبين، لين الجانب، مهذب العبارة، لا يستكبر ولا يتعاظم، حفيًّا بالعلماء، متأسيًا بهم، مترحمًا عليهم، تحلى بأجمل الأخلاق، لا يدخر وسعًا، ولا يعرف كللًا، ولا يضن بعلمه، ولا يفتر عن نهجه، ولا يبخل بعونه، ولا يحتفظ بكتبه، ولا يتمسك بحقوق تأليفه.

عنصر كريم، ومعدن شرف عظيم، أصل راسخ، وفرع شامخ، ومجد باذخ، متمكن في علمه، متأنٍّ في كلامه، مدقق في عباراته، موثق لنصوصه، محترم لجمهوره، مهتم بطلابه، معتنٍ بمريديه، مكرم لمجيئيه، مسعد لمسامريه، مؤنس لمجالسيه، عالي الهمة، عظيم الغيرة، ساكن الهيبة، رقيق الحاشية، خفيض الصوت، ذكي الفؤاد.

وهبه الله توقد القريحة، ونفاذ البصيرة، وقوة الفهم، ووضوح الحجة، وبيان المحجة، وجمال الروية، وصفاء النية، وسلامة الطوية، مع كريم الخلق، وطيب التعامل، ونقاء السيرة، وحسن الإبانة، وعميق الديانة، وأداء الأمانة، وتألق اللغة، وتأنق العبارة، ودقة الإشارة، وعذوبة اللفظ، وغزارة الحفظ، ومتانة الكلام، وإجادة الإفهام، وجزالة الأسلوب، وكسب القلوب.

إلى غير ذلك من الصفات والخصال والشمائل الحميدة الرشيدة؛ فرحمه الله ورضي عنه.

وأغلب هذا الكلام نقلناه من كتاب (ابن عثيمين الإمام الزاهد).

نشأة الإمام ابن عثيمين وطلبه للعلم:

نشأ الإمام ابن عثيمين في بيئة علمية في مدينته عنيزة، وحفظ القرآن الكريم على يد جده لأمه؛ الشيخ عبدالرحمن بن دامغ رحمه الله، ثم توجه إلى طلب العلم، فتعلم الخط والحساب، وبعض فنون الآداب.

وكان الإمام ابن عثيمين قد رُزق ذكاء وزكاء وهمة عالية، وحرصًا على التحصيل العلمي، وحضور مجالس العلماء الكبار، وعلى رأسهم العلامة المفسر الكبير عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى، الذي كان يسكن عنيزة، فتوجه الإمام ابن عثيمين إلى مجلسه لينهل من معين علمه.

وكان العلامة السعدي قد عين اثنين من طلابه لتعليم الصغار؛ وهما: الشيخ علي الصالحي، والشيخ محمد بن عبدالعزيز المطوع، فدرس الإمام ابن عثيمين في بداية الأمر عليهما، وقرأ عليهما كتبًا عدة؛ منها (مختصر العقيدة الواسطية) للشيخ السعدي، والآجرومية، وألفية ابن مالك، وغيرها من الكتب.

وبعدها رحل الإمام ابن عثيمين لطلب العلم في الرياض حين فتحت المعاهد العلمية سنة 1372 هجرية فالتحق الإمام للدراسة فيها.

يقول الإمام ابن عثيمين عن تلك الفترة:

(دخلت المعهد العلمي في السنة الثانية، والتحقت به بمشورة من الشيخ علي الصالحي، وبعد أن استأذنت من الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله، وكان المعهد العلمي في ذلك الوقت ينقسم إلى قسمين: خاص، وعام، فكنت في القسم الخاص، وكان في ذلك الوقت من شاء أن يقفز بمعنى أنه يدرس السنة المستقبلة له في أثناء الإجازة، ثم يختبرها من أول العام الثاني، فإذا نجح انتقل إلى السنة التي بعدها وبهذا اختصرت الزمن، ثم التحقت بكلية الشريعة في الرياض منتسبًا، وتخرجت منها).

واستغل الإمام ابن عثيمين وجوده في الرياض، فدرس على سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله تعالى، وقرأ عليه من صحيح البخاري، وبعض رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية، وبعض الكتب الفقهية.

يقول الشيخ ابن عثيمين عن شيخه الإمام ابن باز:

(لقد تأثرت بالشيخ عبدالعزيز بن باز حفظه الله، من جهة العناية بالحديث، وتأثرت به من جهة الأخلاق أيضًا وبسط نفسه للناس).

وبعد وفاة شيخه العلامة عبدالرحمن السعدي سنة 1376 هجرية بفترة استلم الإمام ابن عثيمين إمامة الجامع الكبير في عنيزة خلفًا لشيخه، وحينها تصدر للتدريس مكان شيخه.

وقد نقلنا ما سبق من كتاب (ابن عثيمين الإمام الزاهد) للشيخ مسفر الزهراني.

شيوخ الإمام ابن عثيمين:

درس الإمام ابن عثيمين على يد مشايخ كثيرين في عنيزة ثم في الرياض؛ وإليك أسماء أبرز مشايخه:

1- العلامة الكبير عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى المفسر المشهور والعالم الجليل، صاحب التفسير الشهير باسم: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، في ثمانية مجلدات، وله غيره الكثير من المؤلفات الممتعة.

وتخرج على يد الشيخ السعدي علماء كبار، وفقهاء أجلاء، وأكبرهم وأجلهم سماحة الإمام ابن عثيمين رحمه الله تعالى.

وكانت أكثر استفادة ابن عثيمين وطلبه للعلم على يد الشيخ السعدي، فقد لازمه أحد عشر عامًا، ينهل من معين علمه الصافي، وكان من طلابه البارزين؛ ولذلك كان هو خليفة الشيخ في إمامة الجامع الكبير في عنيزة والتدريس فيه والإفتاء.

2- سماحة الإمام الأجل عبدالعزيز بن باز رحمه الله تعالى:

الإمام الكبير والعلامة الشهير، شيخ الإسلام، ومفتي المسلمين، وهو أحد أشهر علماء الأمة في هذا الزمان.

درس عليه الإمام ابن عثيمين في الرياض، كما مر معنا.

3- العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى، المفسر الكبير والشيخ الجليل، صاحب التفسير الممتع المشهور باسم: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن).

درس عليه الإمام ابن عثيمين في المعهد العلمي بالرياض.

قال عنه الإمام ابن عثيمين: "استفدنا من علمه وسمته وخلقه وزهده وورعه".

4- الشيخ علي الصالحي رحمه الله تعالى، وهو من كبار تلاميذ العلامة السعدي.

5- الشيخ محمد بن عبدالعزيز المطوع رحمه الله تعالى.

قرأ عليه الإمام ابن عثيمين كتبًا مختلفة، وهو أيضًا من كبار تلاميذ العلامة السعدي.

6- الشيخ عبدالرحمن بن سليمان آل دامغ رحمه الله تعالى، وهو جد الإمام لأمه، وقد حفظ على يديه القرآن الكريم.

7- الشيخ عبدالرحمن بن علي بن عودان رحمه الله تعالى.

قرأ عليه الإمام بعض كتب الفقه، كما درس عليه علم الفرائض (المواريث).

تلاميذ الإمام ابن عثيمين:

كان سماحة الإمام ابن عثيمين من العلماء القلة الذين تشد إليهم الرحال، ويتوافد إلى بابهم طلاب العلم من كل مكان؛ رغبة في الاستفادة من معين علمه، والتزود من عظيم معارفه، وللإمام تلاميذ كثر في مختلف العلوم، وسنذكر اثنين من كبار تلاميذه وعلمائهم على سبيل المثال، ولولا خشية الإطالة، لذكرنا الكثير منهم:

1- العلامة الكويتي عثمان الخميس، وهو شيخ معروف، وعالم واسع العلم، اشتهر بمناظراته للرافضة على وسائل الإعلام، واهتم بالرد على الشبهات الرافضية، ومن مؤلفاته كتاب الأحاديث الواردة في شأن السبطين الحسن والحسين رضي الله عنهما.

وكتاب حقبة من التاريخ، وكان يشرح كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، منذ فترة قريبة، حفظه الله تعالى.

2- الشيخ العلامة الأديب ناصر بن مسفر الزهراني، يعود نسبه إلى سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما، فهو قرشي نسبًا، زهراني حلفًا، وهو من كبار تلاميذ الإمام ابن عثيمين، والإمام ابن باز، وهو شيخ واسع العلم، وشاعر من أفضل الشعراء في عصرنا، وهو أول من ألف كتابًا عن سيرة الإمام ابن عثيمين بعد وفاته سماه: (ابن عثيمين الإمام الزاهد)، وهو كتاب عظيم ماتع رائق

علوم الإمام ابن عثيمين:

كان الإمام ابن عثيمين بحرًا من بحور العلم، واسع الاطلاع، غزير المعرفة، كثير النفع والإفادة للناس عامة، ولطلبة العلم خاصة.

ومن الجميل في سماحة الإمام ابن عثيمين أنه عالم موسوعي، برع في مختلف العلوم، وبلغ العلياء في كل الفنون.

ففي العقيدة هو الإمام الكبير، والعالم الجليل الذي جمع كبريات المسائل بعلمه، ويبسط أعقد الأمور بفهمه العميق الراسخ، ومن يناظر مؤلفات الإمام في العقيدة - كالقول المفيد - يجد سعة العلم وغزارة الفهم ودقة التعبير وجودة الشرح.

وفي الفقه هو الإمام الفقيه الذي لا يشق له غبار، الذي برع في الفقه، ونبغ نبوغًا ما وصل إليه منذ أزمان إلا القلة، ولا أدل على ذلك من كتابه العظيم وسفره الجليل: (الشرح الممتع على زاد المستقنع).

وأما في الحديث وفقهه ومعناه ومصطلحه، فهو آية عظيمة في ذلك؛ يبسط المعقد، ويشرح المشكل، ويبين معنى المستغرب، وكل ذلك بأسلوب واضح ماتع رائق.

وبالجملة، فقد كان سماحة الإمام ابن عثيمين مجددًا من مجددي الدين، وعلمًا من أعلامه، وإمامًا من أئمته.

ولا ريب أن الإمام ابن عثيمين مجدد للدين من سادات المجددين، ولا يوجد ما يمنع تعدد المجددين في الزمان الواحد، فقد يوجد أكثر من مجدد عظيم في زمان واحد، وفي زماننا قد هيأ الله تبارك وتعالى ثلاثة مجددين عظماء، جدد الله بهم الدين، وأيَّده؛ وهم: الإمام الكبير ابن باز، وصاحب الترجمة الإمام الجليل ابن عثيمين، والإمام العظيم الألباني، رحمهم الله جميعًا.

فالإمام ابن عثيمين مجدد من خيرة المجددين وساداتهم.

قال الشيخ ناصر بن مسفر الزهراني وهو يتحدث عن الإمام ابن عثيمين وعلومه في مقدمة كتابه الممتع (ابن عثيمين الإمام الزاهد):

"ألقت إليه رئاسة العلم مقاليدها، وملكته طريفها وتليدها، فأظهر مكنون قديمها، في ثوب جديدها، واختار بذكائه أفضل الآراء وسديدها.

طلعت شمس الفقه من أفق أفكاره، وتفجرت ينابيع العلم من خلال آثاره، وجرت في نفوس المحبين روائع أنهاره، جلا بكلامه الأبصار الكليلة، وشحذ بمواعظه الأذهان العليلة، وسلك في طريق العلم خير وسيلة، ولن يهزم من كان الكتاب والسنة دليله.

إنه بدر العلوم اللائح، وقطرها الغادي الرائح، وعقال الأفكار عن جامح، وعنوان اللطف والعفو والتسامح.

تستخرج الجواهر من بحوره، وتحلى الأوراق بقلائد سطوره.

شيخ المعارف وإمامها ومن في يديه زمامها.

يحوك الألفاظ على قدر المعاني، ويسوق الكلام حسب الأماني.

إذا أذكى سراج الفكر أضاء ظلام الأمر، واستنبط روائع العلوم، وأبان عن بديع الفهوم.

لقد كان رحمه الله فيما نحسبه من حزب الله المفلحين وأوليائه الناصحين، ومن أئمة الإسلام المعدودين، الذين حفظوا على الناس روعة الدين ...".

وقد أجاد الشيخ ناصر بن مسفر وأفاد في هذه الفقرة، وعبر فيها بالتعابير الماتعة الرائقة

مؤلفات الإمام ابن عثيمين:

كان سماحة الإمام ابن عثيمين غزير العلم، واسع المعرفة، وكان بحق موسوعة علمية كبيرة، وجامعة تخرج على يديها آلاف الطلبة، ومن مظاهر غزارة العلم عند الإمام كثرة مؤلفاته، وتنوعها في مختلف العلوم والفنون، فألف في التفسير، وألف في الفقه والعقيدة والحديث ومصطلحه، وهكذا في جميع الأبواب.

وبعض مؤلفات الإمام فرغت من تسجيلات صوتية له، ودروس صوتية، ثم طبعت في كتاب مستقل كشرح الأربعين النووية.

وتتميز مؤلفات سماحة الإمام بالتوسع في الشرح، واستيعاب الموضوع من جميع نواحيه، وتتميز كذلك باتباع الدليل، حتى وإن خالف مذهبه الحنبلي، وتتميز بالاهتمام بآثار السلف، وغيرها من المميزات العظيمة التي ميزت كتب الإمام ابن عثيمين عن غيرها، وجعلتها في الذروة العليا من حيث سعة العلم، ورحابة الصدر أثناء الشرح والتوسع والاتباع لنهج طريق السلف الصالح.

وقد بلغت مؤلفات الإمام ابن عثيمين عددًا كبيرًا تجاوز المائة، ووصلت إلى 181كتابًا ورسالة، وكلها من المؤلفات العظيمة في مختلف العلوم الشرعية، ولنذكر بعضًا من مؤلفاته وكتبه التي ذاعت شهرتها في الآفاق، وتداولها الخاصة والعامة؛ فمن مؤلفاته:

كتاب "الشرح الممتع على زاد المستقنع"، وهو من أهم مؤلفاته وأعظمها، وكتاب "القول المفيد على كتاب التوحيد"، وكتاب "التعليق على صحيح البخاري"، وكتاب "التعليق على صحيح مسلم"، وكتاب "فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام"، وكتاب "شرح رياض الصالحين"، وكتاب "شرح الأربعين النووية"، وكتاب "تنبيه الأفهام بشرح عمدة الأحكام"، وكتاب "شرح مشكاة المصابيح"، وكتاب "شرح نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر"، وكتاب "شرح المنظومة البيقونية"، وكتاب "التمسك بالسنة النبوية وآثاره"، وكتاب "شرح العقيدة الواسطية"، وكتاب "فتح رب البرية بتلخيص الحموية"، وهو أول كتاب طبع للإمام.

وكتاب "شرح الأصول الثلاثة"، وكتاب "شرح كشف الشبهات، ومعه شرح ستة أصول عظيمة مفيدة".

وكتاب "شرح نونية ابن القيم"، وكتاب "تقريب التدمرية"، وكتاب "شرح تقريب التدمرية"، وكتاب "شرح العقيدة التدمرية"، وكتاب "شرح العقيدة السفارينية"، وكتاب "شرح اقتضاء الصراط المستقيم"، وكتاب "مباحث في أصول الدين"، وكتاب "رسالة في القضاء والقدر"، وكتاب "الأدلة على بطلان الاشتراكية"، وكتاب "التعليق على لمعة الاعتقاد"، وكتاب "عقيدة أهل السنة والجماعة"، وكتاب "القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى"، وكتاب "الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع"، وكتاب "أصول في التفسير"، وكتاب "شرح أصول في التفسير"، وكتاب "شرح مقدمة في التفسير"، وكتاب "الإلمام ببعض آيات الأحكام"، وكتاب "التعليق على القواعد الحسان في تفسير القرآن"، وكتاب "أحكام

من القرآن الكريم"، وكتاب "فوائد التقوى من القرآن الكريم"، وكتاب "تفسير سورة الفاتحة والبقرة"، وكتاب "تفسير سورة آل عمران"، وكتاب "تفسير سورة النساء"، وكتاب "تفسير سورة المائدة"، وكتاب "تفسير سورة الكهف"، وكتاب "تفسير جزء عم"، وكتاب "التعليق على الكافي في فقه الإمام أحمد"، وكتاب "التعليق على الروض المربع"، وكتاب "فقه العبادات"، وكتاب "صفة الصلاة"، وكتاب "مجالس شهر رمضان"، وكتاب "رسالة في زكاة الحلي"، وكتاب "مناسك الحج والعمرة"، وكتاب "فقه الحج"، وكتاب "تلخيص أحكام الفرائض"، وكتاب "مجموعة أسئلة تهم المرأة المسلمة"، وكتاب "الأصول من علم الأصول"، وكتاب "نيل الأرب من قواعد ابن رجب"، وكتاب "شرح نظم الورقات"، وكتاب "شرح مختصر التحرير"، وكتاب "مختارات من إعلام الموقعين"، وكتاب "مختارات من زاد المعاد"، ومن مؤلفات الإمام ابن عثيمين كتاب "التعليق على نور اليقين في سيرة سيد المرسلين"، وكتاب "شرح ألفية ابن مالك"، وكتاب "شرح الآجرومية"، وكتاب "شرح الدرة اليتيمة في النحو"، وكتاب "مكارم الأخلاق"، وكتاب "حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة"، وكتاب "من مشكلات الشباب"، وكتاب "دور المرأة في إصلاح المجتمع"، وكتاب "موقف المسلم من الفتن"، وكتاب "العلم"، وكتاب "شرح حلية طالب العلم"، وكتاب "المناهي اللفظية"، وكتاب "فتاوى نور على الدرب"، وكتاب "الضياء اللامع من الخطب الجوامع".

وغير ذلك الكثير من الكتب والمؤلفات الجليلة.

وأنت ترى هذا العدد الهائل من مؤلفات الإمام، وكل هذا، وما ذكرت إلا قرابة نصف مؤلفاته، فرحمه الله، ورضي عنه، ما أوسع علمه وأكثر نفعه!

المناصب التي تولاها الإمام ابن عثيمين:

بعد أن تعرفنا على سيرة هذا الإمام العظيم، والشيخ الرباني الجليل، وتعرفنا على صفائه ونقائه، وسعة علمه، واقتران القول بالعمل في سيرته العطرة، فلا بد أنه قد تولى المناصب الرفيعة، ووصل إلى المراتب العالية، ولا عجب، فالإمام ابن عثيمين تتزين به المناصب، وتزداد به جمالًا وبهاء، ولقد التزم سماحة الإمام ابن عثيمين في كل المناصب التي تولاها السيرة الحسنة، والورع والزهد، وإفادة الناس وحب النفع لهم، والحرص على الخير.

ولقد كان الإمام زاهدًا في كل المناصب، وما تولى منصبًا إلا لينفع الناس؛ ومن المناصب التي تولاها الإمام:

1- عضوية هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية منذ عام 1407 هجرية وحتى وفاته رحمه الله.

2- بدأ التدريس في الجامع الكبير بعنيزة عام 1370 هجرية في حياة شيخه العلامة السعدي، ثم تم تعيينه مدرسًا في المعهد العلمي بعنيزة عام 1374 هجرية.

3- تولى إمامة الجامع الكبير في عنيزة والخطابة فيه والتدريس في مكتبة عنيزة الوطنية عام 1376 هجرية، ولما كثر الطلاب وتجاوزوا المئات، انتقل الإمام للتدريس في الجامع الكبير بعنيزة بدل المكتبة.

4- تولى التدريس في كلية الشريعة وأصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فرع القصيم منذ عام 1398 هجرية وحتى وفاته.

5- أسس جمعية تحفيظ القرآن الكريم الخيرية في عنيزة عام 1405 هجرية، واستمر رئيسًا لها حتى وفاته.

6- كان عضوًا في المجلس العلمي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، واستلم رئاسة قسم العقيدة فيها.

7- عضوية لجنة الخطط ومنهاج المعاهد العلمية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وألف بعض المناهج الدراسية فيها.

8- التدريس في المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف في رمضان والحج والعطل الصيفية.

فهذه أبرز مناصب الإمام ابن عثيمين رحمه الله تعالى.

جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام:

في عام 1414 هجرية أعلن فوز الإمام ابن عثيمين بجائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام من قبل القائمين على الجائزة.

وقد ذكرت اللجنة عدة أسباب أدت إلى منح الإمام الجائزة؛ منها:

1- تحليه بأخلاق العلماء الفاضلة.

2- انتفاع الكثيرين بعلمه تدريسًا وإفتاء وتأليفًا.

3- مشاركته المفيدة في مؤتمرات إسلامية كبيرة.

ولا يخفى على المطلعين أهمية هذه الجائزة ومكانتها، وسماحة الإمام رحمه الله جدير بكل جائزة وثناء

الزهد في حياة الإمام ابن عثيمين:

كان سماحة الإمام ابن عثيمين زاهدًا عظيمًا من كبار الزهاد، ومن أعلام الزهد ليس في عصرنا فحسب، بل في تاريخ الإسلام الطويل.

كان زهد الإمام ابن عثيمين زهدًا حقيقيًّا صافيًا نفيًا نابعًا من إيمان عميق ورغبة عظيمة فيما عند الله، وما عند الله خير وأبقى.

كان الإمام ابن عثيمين يستطيع أن ينال من زينة الدنيا وزهرتها ما يشاء، وما يحلو له بسبب مكانته العالية وشهرته الذائعة، ولكنه ترك هذا كله، وخلف الدنيا ومتاعها وراء ظهره، غير مبالٍ بها ولا ناظر لها.

لقد ارتمت الدنيا بزينتها ومتاعها أمام أقدام الإمام ابن عثيمين، لكنه رفضها، وفضل الزهد والتخفف من الدنيا؛ ليبني داره في الآخرة في جنات النعيم بإذن الله.

كان الإمام ابن عثيمين زاهدًا في كل شيء، وكانت ثيابه التي يرتديها لا تساوي إلا ثمنًا زهيدًا، وكان قمة في البساطة، وكان لا ينام على سرير، بل ينام على الأرض أو على حصير يؤثر في جنبه؛ يقول الشيخ عائض القرني: (دخلت مرة على الشيخ ابن عثيمين في مكة المكرمة فوجدت بيده إبرة يخيط بها ثوبة).

لقد أهدى أحد الأمراء في المملكة العربية السعودية منزلًا للإمام ابن عثيمين، فاعتذر عن السكن فيه مفضلًا التبرع به.

يحدثنا الشيخ عبدالله بن عبدالمحسن التركي عن موقف من مواقف الزهد في حياة الإمام ابن عثيمين؛ فيقول ضمن كلام له عن الإمام:

"والأمر الثاني مفاجأته لي وأنا مدير للجامعة بتقديم ظرف بداخله مبلغ من المال، فسألته عن قصته، فذكر أنه قدم له مقابل محاضرات ألقاها في كلية الشريعة وأصول الدين في القصيم، وكان وقتها رحمه الله على ملاك معهد عنيزة العلمي، وإن وقت هذه المحاضرات اقتطعه من الوقت المخصص لتأليف المقررات الدراسية للمعاهد العلمية، وبذلك لا أستحق ما صرف لي".

فلله در هذا الإمام العظيم ما أحسنه! وما أعظمه!

وقد نقلنا هذه التفاصيل من كتاب (ابن عثيمين الإمام الزاهد)

وفاة سماحة الإمام ابن عثيمين:

لو كُتب الله لأحد الخلود في هذه الدنيا، لكان سيدنا ونبينا محمد صلوات ربي وسلامه عليه أحق الناس به، ولكن الموت لكل إنسان سنة الله في عباده، ولن تجد لسنة الله تبديلًا.

إن هذه الدنيا دار عمل، فلا خلود لأحد فيها، والموافاة يوم القيامة.

مرض سماحة الإمام ابن عثيمين في آخر حياته، واكتشف مرضه متأخرًا في مستشفى الملك فهد بالحرس الوطني، ثم أُجريت له فحوصات أخرى في مستشفى الملك فيصل التخصصي، واختلف الأطباء في طريقة العلاج النافعة، ثم سافر سماحته إلى أمريكا للاطمئنان على صحته، وهناك استقر رأي الأطباء على علاج الإمام بالأشعة، وجرعات مخففة من الكيماوي أولًا، ثم بالكيماوي وحده لاحقًا.

وعاد الإمام إلى المملكة، وبدأ رحلة العلاج في مستشفى الملك فيصل التخصصي، وعولج بالأشعة فعلًا.

ولكن الأطباء رأوا أن سلبيات علاجه بالكيماوي أوضح من إيجابياته ففضلوا عدم علاجه به، وهكذا كان مرض الإمام ابن عثيمين، وجاور الإمام في المسجد الحرام في شهر رمضان سنة 1421 هجرية في أيامه الأخيرة.

وفي يوم الأربعاء الخامس عشر من شوال سنة 1421 هجرية، وقبيل صلاة المغرب توفي هذا القمر المنير سماحة الإمام ابن عثيمين في مدينة جدة في المملكة العربية السعودية، وهز نبأ وفاته العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه.

وصلى على سماحة الإمام في يوم الخميس السادس عشر من شوال في المسجد الحرام، وصلى عليه عشرات الآلاف من الناس قدموا للصلاة عليه من جميع أنحاء المملكة العربية السعودية، يتقدمهم وزير الداخلية السعودي يومها الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود والعلماء الكبار، وكانت جنازة الإمام جنازة مهيبة عظيمة شهدها عشرات الآلاف، وامتلأت الشوارع والساحات بهم وما وصلت الجنازة إلى السيارة إلا بعد جهد من شدة الزحام، ثم دُفن، رحمه الله تعالى.

وفي يوم الجمعة صلى على الإمام ابن عثيمين صلاة الغائب في المسجد الحرام، وفي كل مساجد المملكة العربية السعودية وخارجها.

وتوالت برقيات التعزية ومقالات الرثاء، وكلمات الوفاء لهذا الإمام الجليل.

وقام الملك فهد بن عبدالعزيز وولي العهد حينها الملك عبدالله بن عبدالعزيز بتعزية أسرة الإمام.

وكتب الأئمة الكبار مقالات رائعة في رثائه، وعلى رأسهم سماحة العلامة المفتي عبدالعزيز آل الشيخ والعلامة عبدالله بن جبرين.

وتوالت المقالات الجميلة التي تتحدث عن الإمام بعد وفاته لمدة أسبوعين، وقد جمعها الشيخ ناصر بن مسفر الزهراني في كتابه الممتع (ابن عثيمين الإمام الزاهد).

وبلغت أكثر من ستمائة صفحة.

وهكذا توفي البدر المنير والشيخ الأجل؛ سماحة الإمام ابن عثيمين، وفقدت الأمة رجلًا يقدر بألف رجل.

فقدت الأمة رجلًا، لا أظنه يتكرر، فقدت الفقيه والمفسر والمحدث والزاهد والورع.

كان الإمام ابن عثيمين مثالًا رائعًا للعالم الصادق المخلص الذي أفنى حياته في سبيل نشر العلم، ونفع الناس، ونصرة الإسلام والدعوة

قصائد في مدح الإمام ابن عثيمين:

قيلت في الثناء على سماحة الإمام ابن عثيمين ورثائه، ومدحه القصائد الكثيرة، وأبدع المحبون في مدح الإمام؛ وسنذكر بعض هذه القصائد الجميلة لنختم بها مقالنا هذا.

قال مشعل حمود العتيبي راثيًا الإمام ابن عثيمين:

في شهر شوال نصف الشهر ودعنا

شيخ جليل إمام عالم ورعُ

ابن العثيمين أعلى الله منزله

في جنة الخلد لا خوف ولا هلعُ

جل المصاب وهال الخطب أمتنا

بموت عالمنا قد عمنا الفزعُ

بكى القصيم ونجد والحجاز على

شيخ العلوم وكل الناس قد فجعوا

يبكيه علم وطلاب ومسجده

وكل من راية الإسلام قد رفعوا

مات الحبيب وكل الناس تعرفه

بعلمه الجم بالأخلاق مجتمعُ

قد كنت أعرفه والكل يعرفه

بالزهد والعلم ليس المال والطمعُ

يا شيخ والله إن القلب منفطر

على الفراق وجرح القلب يتسعُ

يا ناصر السنة الغراء في زمن

تكاثرت حولنا الأوهام والبدعُ

قال خالد بن علي الدويغري يرثي الإمام ابن عثيمين:

خبر وربي للفؤاد يقطع

دمعت له عيني وعز المضجعُ

خبر وربي لا يزال مدويًا

من هوله صم الجبال تصدعُ

خبر أتى من حول مكة ناعيًا

الشيخ مات وكل أذن تسمعُ

خبر أتى ينعى العثيمين الذي

كل القلوب له تجل وترفعُ

ينعى الإمام الفذ عالم عصرنا

شيخ جليل زاهد متورعُ

تلك المصيبة إنها لكبيرة

صبرًا فلله العظيم المرجعُ

ولقد فجعنا بابن باز قبله

إن المصائب خرقها لا يرقعُ

فالأرض تبكي والسماء حزينة

والله يفعل ما يشاء ويصنعُ

والفقه يرثي والصحاح عليلة

والروض يبكي والضياء اللامعُ

يوم الخميس ويا لها من لحظة

إذ كفنوا الشيخ الجليل وأسرعوا

في مكة قد قال مقلة عينها

إذ قدموه عليه كبر أربعُ

حملوه نحو العدل كان مسيره

حضر الجميع وشاهدوه وودعوا

يا لحد مهلًا فيك شمس زماننا

قد غيبت والنور باقٍ يسطعُ

هذه هي سيرة شيخ الأئمة وإمام الشيوخ وفقيه الزمان وزاهد العصر والأوان.

هذه سيرة القمر المنير والشيخ الجليل والسيد الكبير والفقيه الألمعي.

إن الإمام ابن عثيمين هو شعلة أضاءت الطريق للكثير والكثير، وما زالت تضيئه، وستظل حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

إنني أعرف وأعترف أنني لست بأهل للتحدث عن الإمام ابن عثيمين، ومن أنا حتى أتحدث عن شيخ الإسلام، وإمام الأعلام، ٨وفقيه الأمة، وعالم العصر.

ولكنه محاولة لخدمة تراث الإمام وعلمه من خلال تبيان سيرته العطرة وحياته الزاهرة.

وبهذا أرجو أن أكون قد بينت سيرة سماحة الإمام الجليل العظيم ابن عثيمين بصورتها الناصعة المشرقة

وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وصحبه الغر الميامين وسلم تسليما كثيرا

الإمام الألباني محدث العصر ومجدد الزمان

إن العلماء والمحدثين هم ورثة الأنبياء، وسادات الأولياء، ومشاعل الطريق التي تضيء الدرب للسالكين، وتعطي النور للسائرين، وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب.

ومن كبار العلماء الربانيين في زماننا وسادات المحدثين وعظماء المجددين الإمام الرباني العظيم، والمحدث المجدد الجليل، محمد ناصر الدين الألباني المعروف بالإمام الألباني نسبة إلى بلده الأم ألبانيا.

إن الإمام المحدث الأجل الألباني هو شيخ المحدثين، وأستاذ الأستاذين، وصفوة العلماء العاملين، لقد كان الإمام الألباني آية عظيمة، ومجددًا كبيرًا، وعالمًا ربانيًّا في الحديث الشريف وعلومه وفنونه؛ بل هو الذي جدد هذا العلم الشريف، وأحياه بعدما خمد ذكره على مرّ قرون عديدة.

لم يكن الإمام الألباني عالمًا فحسب؛ بل كان عالمًا ومحدثًا ومربيًّا، وفقيهًا يتبع الكتاب والسنة دون تعصُّب لمذهب أو تحيُّز لإمام معين.

لقد كان الإمام الألباني نموذجًا فريدًا، وعالمًا عظيمًا، استطاع بهمته، وسعة علمه، وغزارة فهمه إحياء علم الحديث وتجديده، والقيام بمشروعات كبيرة، وجهود عظيمة في سبيل تبيين صحيح الحديث من ضعيفه، وثابته من موضوعه، وتجد ذلك واضحًا في السلسلة الصحيحة والسلسلة الضعيفة، وفي اهتمامه الواسع بالسنن الأربعة، وتخريجه لأحاديثها، وبيان صحيحها من ضعيفها في مشروع علمي ضخم رائع

ولا ريب أن الإمام الألباني هو مجدد هذا العصر، وشيخ هذا الزمان إلى جانب الإمامين الكبيرين: ابن باز، وابن عثيمين رحمهم الله أجمعين.

فالإمام الألباني مجدد من صفوة المجددين؛ جدد علم الحديث، وأحيا الله به العلم الشرعي، واتباع الدليل، وجعله الله تعالى مفتاحًا لكل خير بعلمه وفقهه وغزارة معرفته.

وحياة الإمام الألباني متشعبة، وفيها الكثير من الفصول والأحداث، وسأذكر وأتحدث في هذه المقالة عن أهم الأحداث والفصول في سيرة الإمام العظيم الألباني، وإلا فاستيفاء سيرة الإمام الألباني تحتاج إلى مجلدات ضخام، وحسبي أن أذكر منها في هذا المقال المحطات الكبرى والمهمَّة في حياة هذا الإمام الجليل، مستعينًا بالله العزيز الحميد، راجيًا منه التوفيق والعون والتسديد.

اسمه ونسبه:

هو الإمام العظيم الجليل العلَّامة المحدِّث الكبير شيخ الإسلام والمسلمين، وصفوة الفقهاء والمحدثين والمجددين أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني الأرنؤوطي المعروف باسم الإمام محمد ناصر الدين الألباني نسبة إلى بلده الأصلي ألبانيا، والإمام ألباني الأصل والمولد، دمشقي النشأة والتربية

مولد الإمام الألباني:

وُلد الإمام الألباني في مدينة أشقودرة عاصمة دولة ألبانيا في سنة 1333هجرية، الموافق عام 1914ميلادية، في أسرة كريمة فقيرة متدينة، يغلب عليها الطابع العلمي، فقد كان والده الحاج نوح من كبار علماء الحنفية في ألبانيا.

ومنذ ذلك الحين ما زال الإمام الألباني منارةَ هدى، وشعاعًا يهتدي به الناس، ويستضيء به المستضيئون بعلمه وفقهه، وعلمه بحديث الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وسيظل الإمام الألباني منارة هدى للعالمين حتى يرث الله الأرض ومَنْ عليها.

ولقد وُلد الإمام الألباني في السنة التي بدأت فيها الحرب العالمية الأولى، وفي السنوات الأخيرة للدولة العثمانية فقد سقطت الدولة العثمانية بعد ولادة الإمام بتسع سنوات فقط.

أسرة الإمام الألباني:

وُلد الإمام الألباني في أسرة علمية كريمة طيبة، وكانت أسرة الإمام فقيرة بعيدة عن الغنى، متدينة، تعيش في أجواء علمية؛ فقد درس والده الحاج نوح العلم الشرعي والفقه الحنفي في إسطنبول عاصمة الدولة العثمانية، وعاد إلى بلاده ألبانيا ليصبح من كبار العلماء فيها، وليصبح مرجعًا علميًّا لأهلها، وكان والد الإمام الألباني من أهل الخير والغيرة على الدين؛ ولذلك رفض البقاء في بلاده لما اتجه أحمد زوغو حاكم ألبانيا بالبلاد إلى العلمانية، والتخلي عن الشريعة، وهاجر إلى دمشق كما سيأتي.

ولقد كان والد الإمام الألباني هو الشيخ الأول للإمام كما سيأتي في الفصول القادمة.

أولاد الإمام الألباني:

وبعد أن عرَفْنا الجو العام لأسرة الإمام الألباني لا بد أن نلقي الضوء على ذريته من أولاد وبنات، فقد تزوج الإمام الألباني بأربع نساء، رزق منهن ثلاثة عشر ولدًا وبنتًا، وأولاده هم: عبدالرحمن، وعبداللطيف، وعبدالرازق، من زوجته الأولى، وعبدالمصور، وعبدالأعلى، ومحمد، وعبدالمهيمن، وأنيسة، وآسية، وسلامة، وحسانة، وسكينة، وهؤلاء كلهم من زوجته الثانية، وابنته هبة الله من زوجته الثالثة، وأما زوجته الرابعة فلم تنجب له.

وقد نقلنا هذه التفاصيل من كتاب (حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه) للشيخ محمد الشيباني

صفات الإمام الألباني وشمائله:

كان الإمام الألباني رضي الله عنه غزير العلم والمعرفة، واسع الاطلاع، ناصرًا للسنة، قامعًا للبدعة، إمامًا من أئمة المسلمين، ومجددًا من مجددي الدين، وعالمًا ربانيًّا من كبار المحدِّثين والفقهاء.

وكان الإمام الألباني كريمًا جوادًا متواضعًا جمَّ التواضع، يزور طلابه، ويتفقدهم، ويخدم أضيافه بنفسه، وكان زاهدًا تقيًّا نقيًّا، سخي اليد، كريم المعشر، عظيم الأخلاق، واسع العلم، وكان ورعًا عظيم الورع، كثير النفع للناس، أفنى حياته في خدمة السنة النبوية، وخدمة العلم الشرعي.

وكان صادق اللهجة، طيب اللسان، نقي السريرة، طاهر النفس، لا ينتقم لنفسه، ويعترف بالفضل لأهله، ولا يعرف الفضل لأهله إلا ذووه.

وكان الإمام الألباني فصيح اللسان، عالمًا باللغة، كثير الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، يترسل في كلامه، ويتمهل فيه، وكان سماحة الإمام الألباني هو إمام المحدِّثين في هذا الزمان، ومجدد علم الحديث، وصاحب السبق والفضل فيه، وهو إمام الحديث الشريف وشيخه ومجدده بلا منازع ولا مدافع.

لقد جمع الإمام الألباني الأخلاق الفاضلة، والسجايا الكريمة، والخصال الحميدة، والمناقب الرشيدة، فما فاته منها شيء.

ولقد كان الإمام الألباني نموذجًا فريدًا في نبل الأخلاق، ورفعة الشمائل، وكرم النفس، وطهارة الروح.

والحاصل أن الإمام الألباني قد جمع الله فيه كل فضيلة، ووهب له كل منقبة وجميلة، ووصل إلى مرتبة صار فيها جديرًا بقول الفرزدق:

حلو الشمائل لا تخشى بوادره

يزينه اثنان حسن الخلق والشيم

نشأة الإمام الألباني وهجرته إلى دمشق:

وُلد الإمام الألباني في مدينة أشقودرة عاصمة دولة ألبانيا كما مرَّ معنا، وعاش سني حياته الأولى في ألبانيا، وكان والده من علماء ألبانيا.

ولما تولى الملك أحمد زوغو- الذي أزاغ الله قلبه كما وصفه الإمام الألباني- حكم ألبانيا سار في طريق تحويل البلاد إلى العلمانية، وتقليد الغرب في كل شيء؛ مما أحدث صدمة لدى الشعب المحافظ على الطابع الإسلامي.

وقام هذا الملك بإلزام المرأة المسلمة بنزع الحجاب، وإلزام الرجل باللباس الغربي كما فعل أتاتورك في تركيا، وحينها بدأت هجرة الألبان المتدينين الذين يريدون وجه الله والدار الآخرة باتجاه البلاد الإسلامية الأخرى.

وتوجس والد الإمام الألباني وتوقع أن يسوء الأمر أكثر؛ فقرر الهجرة من ألبانيا؛ فرارًا بدينه ودين أولاده من الفتن.

واختار والد الإمام الألباني الهجرة إلى مدينة دمشق درة بلاد الشام، وكان قد عرَفَها خلال رحلته لأداء الحج، وشجَّعه على الهجرة إليها ما ورد في فضائلها من أحاديث نبوية صحيحة.

وهكذا هاجر الإمام الألباني وهو طفل صغير من بلده ألبانيا إلى دمشق الشام؛ ليبدأ حياته الجديدة، ويقوم بتعلُّم اللغة العربية، ومن ثم يصبح أحد أهم العلماء في تاريخ الإسلام.

وبعد الاستقرار في دمشق تعلم الإمام الألباني من والده مهنة تصليح الساعات، وأتقنها حتى صار من أصحاب الشهرة فيها، وكان يحمد الله على تعلُّمها؛ لأنها ساعدته على طلب العلم، وسيأتي الحديث عن تعلم الإمام مهنة تصليح الساعات في فصل قادم.

وقد نقلنا هذه التفاصيل من كتاب (الألباني: حياته وآثاره وثناء العلماء عليه) للشيخ محمد الشيباني

نشأة الإمام الألباني العلمية وطلبه للعلم:

وبعد استقرار عائلة الإمام الألباني في دمشق بدأ الإمام بطلب العلم، ودخل مدرسة الإسعاف الخيرية في حي البزورية ليدرس فيها المرحلة الابتدائية، واستمر فيها حتى أشرف على إنهاء المرحلة الابتدائية، وحينها قامت الثورة السورية على المحتل الفرنسي سنة 1925 فاحترقت المدرسة، وانتقل الإمام الألباني إلى مدرسة أخرى بحي ساروجة، وهناك أنهى الإمام دراسته الابتدائية.

وفي مدرسة الإسعاف الخيرية تعلم الإمام الألباني اللغة العربية الفصحى وبرع فيها، حتى تفوق على كثير من الطلاب السوريين، رغم أنه لم يكن يتقن أي شيء منها عندما دخل دمشق، وكان قد أتقن اللغة العربية السورية أيضًا، وهكذا تعلم الإمام الألباني اللغة العربية، وفتحت له بابًا عظيمًا لفهم القرآن الكريم والسنة النبوية، وكان الإمام الألباني يعد تعلم اللغة العربية من نِعَم الله عليه.

ونظرًا لسوء رأي والد الإمام الألباني بالمدارس النظامية من الناحية الدينية فقد قرر عدم إكمال ولده الألباني دراسته فيها بعد المرحلة الابتدائية، ووضع له برنامجًا علميًّا مركزًا قام من خلاله بتعليمه القرآن والتجويد والصرف والفقه الحنفي.

وأتم الإمام الألباني حفظ القرآن الكريم على يد والده الحاج نوح، وكان والده هو شيخه الأول، كما درس عند صديق والده الشيخ سعيد البرهاني، وقرأ عليه بعض الكتب الحنفية وكتب اللغة العربية، وقد أجازه الشيخ العلامة محمد راغب الطباخ لما رأى سعة علمه وهو شاب، وكان يحضر دروس المحدث بدر الدين الحسني في مسجد بني أمية بدمشق، وهكذا كانت النشأة العلمية الأولى للإمام العظيم الألباني قبل توجهه إلى دراسة الحديث الشريف وعلومه

توجَّه الإمام الألباني إلى علوم الحديث الشريف:

بقي الإمام الألباني يدرس على والده ومشايخ آخرين في الفقه واللغة وغيرهما حتى قارب العشرين من عمره، وعندها بدأ يتوجه نحو الحديث وعلومه، ونصر السنة النبوية متأثرًا بأبحاث مجلة المنار للسيد محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى، والتحقيق العلمي الذي كان ينشره السيد رشيد رضا، ولنستمع للإمام الألباني وهو يحدثنا عن قصة توجهه إلى علم الحديث فيقول رحمه الله: "أول ما ولعت بمطالعته من الكتب القصص العربية؛ كالظاهر، وعنترة، والملك سيف وما إليها، ثم القصص البوليسية المترجمة كأرسين لوبين وغيرها، ثم وجدت نزوعًا إلى القراءات التاريخية، وذات يوم لاحظت بين الكتب المعروضة لدى أحد الباعة جزءًا من مجلة المنار، فاطلعت عليه، ووقعت فيه على بحث بقلم السيد رشيد رضا يصف فيه كتاب الإحياء للغزالي، ويشير إلى محاسنه ومآخذه، ولأول مرة أواجه مثل هذا النقد العلمي، فاجتذبني ذلك إلى مطالعة الجزء كله. ثم أمضي لأتابع موضوع تخريج الحافظ العراقي على الإحياء، ورأيتني أسعى لاستئجاره؛ لأني لا أملك ثمنه، من ثم أقبلت على قراءة الكتاب، فاستهواني ذلك التخريج الدقيق حتى صممت على نسخه، وهكذا جهدت حتى استقامت لي طريقة صالحة تساعد على تثبيت تلك المعلومات، وأحسب أن هذا المجهود الذي بذلته في دراستي تلك هو الذي شجعني، وحبَّب إليَّ المضي في ذلك؛ إذ وجدتني أستعين بشتى المؤلفات اللغوية والبلاغية، وغريب الحديث لتفهم النص إلى جانب تخريجه".

وكان نسخ كتاب تخريج أحاديث الإحياء المعروف باسم (المغني عن حمل الأسفار) والتعليق عليه هو أول عمل حديثي يقوم به سماحة الإمام الألباني، وهو يومها في مطلع العشرينات، وقد بذل جهدًا جبارًا في هذا العمل، وبلغ أكثر من ألفي صفحة، كما يقول محمد المجذوب.

وقد فتح هذا العمل الجليل الباب للإمام الألباني للتمرُّس على عالم البحث والتحقيق ودراسة الأسانيد والتمحيص فيها لتأتي بعده خطوات أكبر وأهم خطاها الإمام حتى أصبح الإمام الألباني هو محدِّث العصر ومجدِّد علم الحديث بلا منازع ولا مدافع.

وهناك عدة عوامل ساعدت الإمام الألباني على المضي في علم الحديث والنبوغ فيه نبوغًا لم يصل إليه إلا القلة على مر الزمان، يقول الإمام الألباني رحمه الله تعالى عن هذا الموضوع: "إن نعم الله عليَّ كثيرة لا أحصي لها عدًّا، ولعل من أهمها اثنتين: هجرة والدي إلى الشام، ثم تعليمه إياي مهنته في تصليح الساعات.

أما الأولى فقد يسَّرت لي تعلُّم العربية، ولو ظللنا في ألبانيا لما توقعت أن أتعلَّم منها حرفًا، ولا سبيل إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم إلا عن طريق العربية، وأما الثانية فقد قيضت لي فراغًا من الوقت أملؤه في طلب العلم؛ فأتاحت لي فرص التجارة التي لو حاولت التدريب عليها أولًا لالتهمت وقتي كله؛ وبالتالي لسدت بوجهي سبل العلم الذي لا بد لطالبه من التفرغ".

فبهذه الطريقة وبجهود السيد رشيد رضا ومجلته المنار اتجه الإمام الألباني إلى علوم الحديث الشريف ليحيي الله به هذا العلم بعد كاد يندرس، فجزاه الله خيرًا على ما قدَّم للأمة من نفع ونصح

شيوخ الإمام الألباني ومن التقى بهم من أهل العلم:

بدأ الإمام الألباني دراسته الشرعية على يد والد الشيخ نوح بن نجاتي، وحفظ على يديه القرآن الكريم، ودرس عليه الفقه الحنفي مذهب والده.

كما درس عند شيوخ من أصدقاء والده أهمهم الشيخ سعيد البرهاني، وكان يحضر دروس الشيخ المحدث بدر الدين الحسني في الجامع الأموي، ومن مشايخه أيضًا الشيخ محمد راغب الطباخ العالم الشهير، والتقى بالشيخ العلَّامة أحمد شاكر، وجرت بينهما لقاءات علمية مفيدة، فنستطيع أن نقول: إن أهم مشايخ الإمام الألباني هم:

1- والده الشيخ نوح بن نجاتي من كبار علماء الحنفية في ألبانيا، تخرج في عاصمة الدولة العثمانية إسطنبول، ثم هاجر إلى دمشق، وقد توفي سنة 1372هجرية، ودفن في دمشق.

2- الشيخ سعيد البرهاني من كبار علماء الحنفية، وهو علَّامة، فقيه أصولي، قرأ عليه الإمام الألباني بعض كتب الحنفية وكتب اللغة، وتوفي البرهاني سنة 1386هجرية.

3- الشيخ المحدِّث بدر الدين الحسني، وكان الإمام الألباني يحضر دروسه في المسجد الأموي تحت قبة النسر.

4- الشيخ العلامة محمد راغب الطباخ، وقد منح الإجازة للإمام الألباني بجميع مروياته؛ لما رأى تفوقه ونبوغه في علم الحديث.

5- العلامة المحدِّث أحمد شاكر، وقد التقى به الإمام الألباني وجرت بينهما أبحاث وجلسات علمية ونقاشات مفيدة.

والتقى الإمام الألباني بكثير من كبار العلماء أيضًا يستفيد منهم ويفيدهم، ومنهم العلامة حامد الفقي رئيس جمعية أنصار السنة المحمدية بمصر، والشيخ عبدالرزاق حمزة العالم المعروف، كما التقى بالعلَّامة تقي الدين الهلالي العالم السلفي المشهور، والتقى بالعلامة السلفي المبدع محب الدين الخطيب، كما التقى بالدكتور مصطفى الأعظمي، والشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، والتقى بكثير غيرهم من أهل العلم والصلاح، سواء في شبابه أو بعد شبابه.

تلاميذ الإمام الألباني:

وللإمام الألباني من التلاميذ الشيء الكثير، ولا يحصون لكثرتهم، فمنهم من تتلمذ على يديه ولازمه مددًا طويلة، ومنهم من لازمه على فترات متقطعة، ونكتفي هنا بذكر أبرز تلاميذه الأفاضل الذين نهلوا من معين علمه؛ فمنهم:

1- الشيخ علي الحلبي، وهو من خواصّ تلاميذ الإمام الألباني وعلمائهم، التقى بالإمام الألباني أول مرة سنة1977، واستمر يتتلمذ عليه حتى وفاة الإمام، وهو عالم معروف له الكثير من المؤلفات؛ منها: كتاب (علم أصول البدع)، توفي منذ عام ونصف في الأردن.

2- الشيخ الكبير حمدي عبدالمجيد السلفي المحقق المعروف صاحب التحقيقات الكثيرة، وقد تتلمذ على الإمام في دمشق فتلقى عليه علم الحديث، ومن تحقيقاته تحقيق كتاب (معجم الطبراني الكبير)، وهو عمل ضخم في عشرين مجلدًا.

3- الدكتور العلَّامة عمر سليمان الأشقر، وهو شيخ معروف، كان يدرس بكلية الشريعة بالكويت، ومن مؤلفاته: كتاب (أصل الاعتقاد)، وكتاب (خصائص الشريعة الإسلامية).

4- الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان، وهو عالم ومحقق كبير، تتلمذ على الإمام الألباني في الأردن، وله الكثير من المؤلفات، منها: (معجم المصنفات الواردة في فتح الباري).

5- الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، له الكثير من المؤلفات، منها: (الرد على من أنكر توحيد الأسماء والصفات).

6- الشيخ الكبير محمد عيد العباسي، وهو من كبار تلاميذ الإمام والملازمين له منذ أن كان في دمشق، له كتاب (بدعة التعصب المذهبي)، وهو كتاب مُهِمّ في علاج هذه المشكلة، وقد قام مع الشيخ علي خشان بتأليف ترجمة للإمام الألباني.

7- الشيخ محمد إبراهيم شقرة، وهو من كبار تلاميذ الإمام وأقربهم إليه، وكان رئيس المسجد الأقصى، له عدة مؤلفات، منها: كتاب (ركائز الدعوة في القرآن).

ومن تلاميذ الإمام أيضًا العلَّامة الكبير مقبل بن هادي الوادعي، والشيخ زهير الشاويش، والشيخ محمد جميل زينو، والشيخ علي خشان، والشيخ خليل العراقي الحياني، كما يعد من تلاميذه الشيخ أبو إسحاق الحويني وغيرهم الكثير، وكلُّهم من كبار العلماء في عصرنا

علوم الإمام الألباني:

كان الإمام الألباني بحرًا من بحور العلم، وجبلًا من جبال الحفظ والفهم، واسع المعرفة، عميق الاطِّلاع، قوي الفهم والإدراك للمعاني الغريبة والأمور المشكلة.

والجميل في الإمام الألباني تفنُّنه وتبحُّره في كثير من العلوم الشرعية، فرغم اهتمامه الشديد بالحديث الشريف والوقت الذي يتطلبه ذلك إلا أنه لم يهمل بقية العلوم؛ بل برع في الحديث والعقيدة والتوحيد والفقه والعربية والتفسير وفي مختلف المجالات؛ ففي الحديث وعلومه هو العالم الجليل والإمام الكبير، حامل راية الحديث في زماننا، ورائد المحدِّثين في زماننا، وهو بلا ريب ولا شك مجدد علم الحديث وشيخه وعالمه وحبره وإمامه الذي أحيا الله به هذا العلم الجليل بعدما اندرس أو كاد يندرس، فشمَّر الإمام الألباني عن ساعد الجد، وراح بهمة عالية ونية صادقة وعلوم عالية يشتغل في علم الحديث الشريف فيميّز الصحيح الثابت من الضعيف الواهي بمنهج صحيح وأصول واضحة وعقل صافٍ، فليس تصحيح الحديث وتضعيفه عند الإمام الألباني معتمدًا على الأهواء أو العقل المجرد بل هو مبني على أصول ثابتة وقواعد رائعة اعتمد عليها الإمام الألباني في تخريج الأحاديث، فالإمام الألباني هو محدِّث العصر وعالم الحديث الأوحد في هذا الزمان والكلام عن جهود الإمام الألباني الحديثية يحتاج إلى صفحات طوال لنوفي هذه الجهود بعض حقِّها.

يقول الإمام الأجل عبدالعزيز بن باز رحمه الله تعالى: "لا أعلم تحت قبة الفلك في هذا العصر أعلم من الشيخ ناصر في علم الحديث".

ورأى الإمام ابن عثيمين رحمه الله شريطًا مكتوبًا عليه "لمحدث الشام محمد ناصر الدين الألباني"، فقال الإمام: "بل محدث العصر".

وقال الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله متحدثًا عن الإمام الألباني: "وهو- يعني الإمام الألباني- المرجع اليوم في رواية الحديث في الديار الشامية".

وأما في العقيدة والتوحيد، فالإمام الألباني هو البحر الذي استطاع بأسلوبه الماتع الرائق تبسيطَ مسائل العقيدة ونصر عقيدة أهل السنة والجماعة عقيدة السلف بالأدلة الثابتة والبراهين الواضحة، فنصر العقيدة السلفية في كل مؤلفاته، وردَّ على المبتدعين والمخرفين وأدعياء العلم، ومن نظر في كتابه العظيم (التوسل: أنواعه وأحكامه) وكتابه الجليل (تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد) تبيَّن له سعة علم الإمام الألباني في هذا العلم الجليل وصفاء عقيدته ونقاء توحيده، وأنه يسير على العقيدة السلفية الصافية النقية من الشوائب والبدع.

وأما في الفقه، فالإمام الألباني هو الفقيه الحقيقي الذي يتبع الدليل من الكتاب والسنة دون تعصب لإمام أو مذهب معين، فهو يعمل ويفتي بما يرجحه الدليل ويؤيده القرآن والسنة حتى وإن خالفه جميع الناس، وهو أجل من فهم الأدلة وضبطها في هذا الزمان؛ ففقهه هو فقه الوحيين، وهو فقه الكتاب والسنة وأنعم به من فقه!

وهكذا في كل العلوم نجد للإمام الألباني قصب السبق فيها، ونجده هو البحر في كل علم والحبر في كل باب رضي الله عنه وأرضاه

مؤلفات الإمام الألباني:

الاشتغال بالتأليف أفضل من التدريس عند ابن الجوزي؛ لأن فائدته تبقى على توالي السنين، وفي هذا الباب كان للإمام الألباني جهود عظيمة من ناحية كثرة المؤلفات وجودتها ودقَّتها واشتمالها على الخير كله.

وتتميَّز مؤلفات الإمام الألباني بالتحقيق العلمي الدقيق والتخريج الحقيقي الرائع، وبالتمييز بين الأدلة الثابتة والأشياء الواهية، كما تتميَّز باتِّباع الدليل وتعظيم الأثر في كل مسألة وفي كل باب، وتتميَّز بالترتيب والتنسيق وترابط الأفكار؛ مما يجعل القارئ يفهم الفكرة فهمًا تامًّا.

وبالجملة فكتب الإمام الألباني من خيرة الكتب وأعظمها، ولا توجد مكتبة تقريبًا إلا وفيها من هذا التراث العظيم المتمثل في كتب الإمام الألباني الغنية بالخير والفوائد.

وقد بلغت مؤلفات الإمام الألباني من الكثرة مبلغًا عظيمًا؛ إذ بلغت مؤلفاته ما بين تأليف وتحقيق وتخريج 218 كتابًا في الحديث وعلومه والعقيدة وغيرها، وسنذكر قسمًا من مؤلفات الإمام الألباني نقلًا عن كتاب (الإمام الألباني: دروس ومواقف وعبر) للشيخ عبدالعزيز السدحان.

وسنتحدث أولًا عن مؤلفاته ثم عن تحقيقاته:

فمن مؤلفات الإمام الألباني:

كتاب (سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها) وكتاب (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة)، وهما من أعظم مؤلفاته.

ومن مؤلفاته: كتاب (صحيح سنن الترمذي) وكتاب (ضعيف سنن الترمذي) وكتاب (صحيح سنن النسائي) وكتاب (ضعيف سنن النسائي) وكتاب (صحيح سنن ابن ماجه) وكتاب (ضعيف سنن ابن ماجه) وكتاب (صحيح سنن أبي داود) وكتاب (صحيح سنن أبي داود مع التخريج المفصل) وكتاب (ضعيف سنن أبي داود) وكتاب (ضعيف سنن أبي داود مع التخريج المفصل) وكتاب (صحيح الجامع الصغير وزياداته) وكتاب (ضعيف الجامع الصغير وزياداته) وكتاب (صحيح الترغيب والترهيب) وكتاب (ضعيف الترغيب والترهيب) وكتاب (مختصر صحيح البخاري) وكتاب (مختصر صحيح مسلم)- وهو مفقود- وكتاب (صحيح الأدب المفرد) وكتاب (إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل) وكتاب (تيسير انتفاع الخلان بثقات ابن حبان) وكتاب (تمام المنة في التعليق على فقه السنة) وكتاب (صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان) وكتاب (ضعيف موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان) وكتاب (صحيح الكلم الطيب) وكتاب (مختصر الشمائل المحمدية).

ومن مؤلفاته: كتاب (صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم) وكتاب (أحكام الجنائز وبدعها) وكتاب (تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد) وكتاب (التوسل: أنواعه وأحكامه) وكتاب (تحريم آلات الطرب) وكتاب (تلخيص أحكام الجنائز) وكتاب (تلخيص صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم) وكتاب (آداب الزفاف في السنة المطهرة) وكتاب (جلباب المرأة المسلمة) وكتاب (دفاع عن الحديث النبوي والسيرة في الرد على جهالات الدكتور البوطي في كتابه فقه السيرة) وكتاب (صحيح السيرة)- وهو مطبوع لكنه غير كامل- وكتاب (الذب الأحمد عن مسند الإمام أحمد) وكتاب (صلاة العيدين في المصلى خارج البلد هي السنة) وكتاب (منزلة السنة في الإسلام وبيان أنه لا يستغنى عنها بالقرآن) وكتاب (وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والأحكام) وكتاب (قيام رمضان) وكتاب (كشف النقاب عما في كلمات أبي غدة من الأباطيل والافتراءات) وكتاب (الرد على كتاب ظاهرة الإرجاء لسفر الحوالي) وكتاب (نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق) وكتاب (تخريج أحاديث فضائل دمشق والشام للربعي).

ومن الكتب التي حققها الإمام الألباني وخرجها وعلق عليها، وبعضها حقَّقها أو خرَّجها فقط:

كتاب (الاحتجاج بالقدر) لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب (إصلاح المساجد من البدع والفوائد) للقاسمي، وكتاب (إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان) للإمام ابن القيم، وكتاب (اقتضاء العلم العمل) للخطيب البغدادي، وكتاب (العبودية) لشيخ الإسلام، وكتاب (الإيمان) لشيخ الإسلام، وكتاب (الباعث الحثيث) للعلامة أحمد شاكر، وكتاب (بداية السول في تفضيل الرسول) للإمام العز بن عبدالسلام، وكتاب (التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل) للمعلمي، وكتاب (حقيقة الصيام) لشيخ الإسلام، وكتاب (سبل السلام) للصنعاني، وكتاب (شرح العقيدة الطحاوية) لابن أبي العز الحنفي، وكتاب (الكلم الطيب) لشيخ الإسلام.

وللإمام الألباني غير ذلك الكثير من الكتب والمؤلفات العظيمة الجليلة الماتعة الرائقة، وكلها تسطر بماء الذهب؛ لغزارة فوائدها وكثرة نفعها، وأغلبها مطبوعة منتشرة ولله الحمد

الإمام الألباني ومهنة تصليح الساعات:

لا شك أن مهنة تصليح الساعات داخلة تحت قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((أطيب كسب الرجل من عمل يده)).

والإمام تعلم هذه المهنة عند والده وأجادها، وبرع فيها حتى صار من أصحاب الشهرة فيها، وكان تعلُّم هذه المهنة من نعم الله على الإمام الألباني؛ إذ وفرت له الوقت لطلب العلم- لأنها مهنة حرة لا تتطلب وقتا معينًا- ووفرت له ولأهله الستر والكفاف وعدم الحاجة إلى الناس.

ولنستمع للإمام الألباني وهو يحدِّثنا عن قصته مع هذه المهنة فيقول رحمه الله: "من توفيق الله تعالى وفضله عليَّ أن وجَّهني منذ أول شبابي إلى تعلُّم هذه المهنة؛ ذلك لأنها حرة لا تتعارض مع جهودي في علم السنة، فقد أعطيت لها من وقتي كل يوم- ما عدا الثلاثاء والجمعة- ثلاث ساعات زمنية فقط، وهذا يمكنني من الحصول على القدر الضروري لي ولعيالي وأطفالي على طريقة الكفاف طبعًا فإن من دعائه عليه الصلاة والسلام: ((اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا))؛ رواه الشيخان، وسائر الوقت أصرفه في سبيل طلب العلم والتأليف ودراسة كتب الحديث وبخاصة المخطوطات منها في المكتبة الظاهرية؛ ولذلك فإني ألازم هذه المكتبة ملازمة موظفيها، ويتراوح ما أقضيه من الوقت فيها ما بين ست ساعات إلى ثماني ساعات يوميًّا على اختلاف النظام الصيفي والشتوي في الدوام فيها".

وقد نقلت هذا النقل من كتاب (الإمام الألباني) للسدحان.

ومن العجيب أن بعض الجهلة والحُسَّاد وأهل البدع والأهواء يعيرون الإمام الألباني بمهنته ويلمزونه بسببها، وما علم هؤلاء الجهلة أن كسب الرزق والعمل شرف للإنسان، وأنه طريق الأنبياء، فمحمد صلى الله عليه وسلم أشرف الخلق رعى الغنم، وأدريس كان يعمل خياطًا، وداود كان يعمل حدادًا، وكل نبي قد رعى الغنم ولكن هؤلاء الجهلة معرضون عن دين الله، لا يهمهم إلا الهوى والبدعة، ونشر الجهل بين الناس

محنة الإمام الألباني ودخوله السجن ثم هجرته من دمشق:

تعرض الإمام الألباني خلال دعوته في دمشق لكثير من التعب والأذى من المبتدعين والمتعصبين حتى وصل الأمر إلى التحريض عليه في المنابر وعند قوات الأمن، ووجَّه له المفتي تهمة إثارة الفتنة- والفتنة عند هذا المفتي ومن على شاكلته

هي اتِّباع السنة- وكان الإمام الألباني يقوم برحلات علمية، فمنعه مفتي إدلب من دخولها، وتعرض لكثير من المضايقات في دمشق بل وصل الأمر إلى نشر فتوى منسوبة إلى رئيس رابطة العلماء، يفتي فيها بقتل الإمام الألباني واستباحة دمه.

وما ندري ما هو الجرم الذي اقترفه الإمام الألباني حتى يفتى بقتله، إن الجرم عند هؤلاء المبتدعة والمتعصبين والخرافيين هو اتِّباع السنة والنهي عن البدعة والعلم النافع الذي كان ينشره الإمام، ولقد سجن الإمام الألباني بسبب دعوته إلى الله عام 1969 في سجن قلعة دمشق، وهي نفسها التي سجن فيها شيخ الإسلام ابن تيمية، ثم أفرج عنه ثم سجن مرة أخرى في نفس العام في سجن مدينة الحسكة شمال شرق سوريا.

ونقل الإمام الألباني إلى سجن الحسكة، وكان سجنها جديدًا واسعًا، واصطحب معه كتابه المحبب (صحيح مسلم) وقلمَ رصاصٍ وممحاةً، ووصل إلى السجن، وكان محبوسًا فيه بعض المشايخ أحدهم يقال له: (الشيخ مصطفى)، وكان في السجن شباب من حزب التحرير، فكان الإمام الألباني يدخل معهم في نقاشات دائمًا، واستطاع إصلاح بعض أفكارهم.

وكان الإمام يريد اختصار (صحيح مسلم) ولكن كانت اللمبة- المصباح الكهربائي- في السجن بعيدة جدًّا لا يستفيد منها شيئًا، فطلب من مدير السجن بواسطة الشيخ مصطفى- الذي كان قد أمضى في السجن مدة طويلة- توفيرَ الإنارة والكهرباء، فوافق مدير السجن بشرط أن يدفع الإمام الألباني ثمن الأغراض، فوافق الإمام الألباني وقال: "هذا سهل".

وبالفعل تم ما يريده الإمام الألباني، وتوفرت له الإنارة، وبدأ يختصر (صحيح مسلم) وكان يقول: "فما أحسست بالغربة في السجن إطلاقًا، كما قال ابن تيمية رحمه الله: سجني خلوة".

وفي السجن حقَّق الإمام الألباني أمنيته واختصر (صحيح مسلم) بعد ثلاثة أشهر من العمل فيه، وقد مضى ذكره في تعداد مؤلفاته.

فلله درُّ هذا الإمام، ما أعظم همته وأوسع علمه!

وقد نقلت هذه التفاصيل من كتاب (الإمام الألباني) للسدحان، وبعد خروج الإمام الألباني من السجن بفترة وتحديدًا في الأول من رمضان سنة 1400هجرية هاجر الإمام الألباني بأهله من دمشق إلى عمان عاصمة الأردن ليبدأ سلسلة هجرات متتالية بسبب تقلُّب الأوضاع حتى استقرَّ الإمام في الأردن، وسنسرد الآن بعض التفاصيل عن هجرة الإمام الألباني من دمشق، ثم ما جرى معه حتى استقر في الأردن.

يقول الإمام الألباني عن هجرته من دمشق إلى عمان: "إن الله تبارك وتعالى قد جعل بحكمته لكل شيء سببًا، ولكل شيء سمى أجلًا، وقدَّر كل شيء تقديرًا حسنًا، وكان من ذلك أنني هاجرت بنفسي وأهلي من دمشق إلى عمان في أول شهر رمضان سنة 1400هجرية، فبادرت إلى بناء دار لي فيها، آوي إليها ما دمت حيًّا، فيسَّر الله لي ذلك بمنِّه وكرمه بعد كثير من التعب والمرض الذي أصابني من جراء ما بذلت من جهد في البناء والتأسيس، ولا زلت أشكو منه قليلًا، والحمد لله على كل حال، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات".

واستقر الإمام الألباني في الأردن قليلًا في منزله الجديد، وألقى قليلًا من الدروس على طلبة العلم المتعطشين لعلومه، ولكن فجأة حدث ما أجبره على الهجرة من الأردن، واضطر الإمام الألباني للخروج من عمان، فهاجر الإمام الألباني إلى دمشق مرة أخرى ومنها إلى بيروت.

يقول الإمام الألباني عن هذه التفاصيل: "وبينما أنا أستعد لإلقاء الدرس الثالث إذ بي أفاجأ بما يضطرني اضطرارًا لا خيار لي فيه مطلقًا للرجوع إلى دمشق حيث لم يبق لي فيها سكن، وذلك أصيل نهار الأربعاء في 19شوال 1401هجرية، فوصلتها ليلًا وفي حالة كئيبة جدًّا وأنا أضرع إلى الله تعالى في أن يصرف عني شرَّ القضاء وكيد الأعداء، فلبثت فيها ليلتين وفي الثالثة سافرت بعد الاستشارة والاستخارة إلى بيروت مع كثير من الحذر والخوف لما هو معروف من كثرة الفتن والهرج والمرج القائم فيها، والوصول إلى بيروت في الثلث الأول من الليل قاصدًا دار أخ لي قديم وصديق وفيّ حميم، فاستقبلني بلطفه وأدبه وكرمه المعروف، وأنزلني عنده ضيفًا معززًا مكرمًا، فجزاه الله خيرًا".

وبعد فترة من الزمن قضاها الإمام الألباني في بيروت اضطر أن يهاجر إلى الإمارات العربية المتحدة، وتحديدًا إمارة الشارقة عند بعض محبّيه من أهل السنة والجماعة، فهاجر الإمام الألباني إليها واستقبله أهل الخير هناك، وسعدوا به سعادة عظيمة، وكانت أيامه في الإمارات أيام انهماك في العلم، وتوافدَ عليه الناسُ من دول الخليج لرؤيته وزيارته، واستغل فترة وجوده في الإمارات وزار بعض الدول المجاورة؛ كالكويت وقطر، وبعدها قام الشيخ محمد إبراهيم شقرة- تلميذ الإمام الألباني ورئيس المسجد الأقصى- بالشفاعة للإمام الألباني عند ملك الأردن الراحل الحسين بن طلال، وأخبره بدعوة الإمام ومنهجه، وما تعرض له من الأذى على يد الجهلة والحُسَّاد، فوافق الملك الحسين فورًا على السماح للإمام الألباني بالعودة إلى الأردن وأمر بذلك، وفرح طلبة العلم بعودة الإمام الألباني أيما فرح، واستقرَّ الإمام الألباني مع أهله في الأردن حتى وفاته، وبقي منارةَ علمٍ وهدى يستضيء بها السائرون، وانتهت سلسلة المحن المتعاقبة، وكتب للإمام

التوفيق والقبول والتمكين في الأرض، وقد نقلنا هذه التفاصيل كلها من كتاب (الألباني: حياته وآثاره وثناء العلماء عليه) للشيباني، وكتاب (محدث العصر) للشيخ عصام موسى هادي

الإمام الألباني وتدريسه في الجامعة الإسلامية:

كتب الله القبول للإمام الألباني بعلمه وصدقه ونيَّته الصافية، ونفع الله بمؤلفاته الخلق، وبلغ صيته مشارق الأرض ومغاربها؛ ولذلك لما افتتحت الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة عام 1381هجرية تم تعيين الإمام الألباني مدرسًا فيها للحديث وعلومه، يقول الأستاذان: عيد عباسي، وعلي خشان، وهما يتحدثان عن الإمام الألباني وانتشار علمه: "مما دفع المشرفين على الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة حين تأسيسها وعلى رأسهم الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رئيس الجامعة الإسلامية والمفتي العام للمملكة العربية السعودية آنذاك على أن يقع اختيارهم على الشيخ ليتولى تدريس الحديث وعلومه وفقهه في الجامعة.

وبقي هناك ثلاث سنوات أستاذًا للحديث وعلومه، كان خلالها مثالًا للجد والإخلاص حتى إنه كان يجلس مع الطلاب على الرمل أثناء الاستراحات، فيمر بهم بعض الأساتذة والطلاب حوله على الرمل فيقولون: "هذا هو الدرس الحقيقي وليس الذي خرجت منه أو الذي ستعود إليه".

وهكذا بقي الإمام الألباني يدرس الحديث وعلومه في الجامعة الإسلامية لمدة ثلاث سنوات أفاد الطلبة خلالها بآلاف من الفوائد، ونفعهم النفع العظيم.

وبعد حدوث بعض الخلاف بين الإمام الألباني وبعض الأساتذة في الجامعة وبسبب مكائد بعض الحاسدين انتهى عمل الإمام الألباني فيها، وقال له الإمام عبدالعزيز بن باز: "حيث كنت تقوم بواجب الدعوة فلا فرق عندك".

ثناء العلماء على الإمام الألباني:

أثنى الكثير من أهل العلم والفضل على الإمام الألباني، وأشادوا بعلمه وفضله، وهو أهل لكل مدح وثناء، وسأنقل بعض كلامهم مستفيدًا من كتاب (الإمام الألباني) للسدحان.

1- قال سماحة الإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ عن الإمام الألباني: "وهو صاحب سنة ونصرة للحق ومصادمة لأهل الباطل".

2- قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز: "من إخواننا الثقات المعروفين من إخواننا الطيبين أخونا وصاحبنا العلامة الشيخ محمد ناصر الدين وهو من المجدِّدين".

وصرح الإمام ابن باز بأن الإمام الألباني هو مجدِّد العصر.

3- قال الإمام ابن عثيمين عن الإمام الألباني: "طويل الباع، واسع الاطلاع، قوي الإقناع".

4- قال العلَّامة محب الدين الخطيب عن الإمام الألباني: "من دعاة السنة البارزين الذين وقفوا حياتهم على العمل لإحيائها".

5- قال الشيخ علي الطنطاوي: "الشيخ ناصر أعلم مني بعلوم الحديث، وأنا أحترمه لجده ونشاطه وكثرة تصانيفه، وأنا أرجع إلى الشيخ ناصر في مسائل الحديث، ولا أستنكف أن أسأله عنها معترفًا بفضله".

6- قال سماحة العلَّامة المفتي عبدالعزيز آل الشيخ عن الإمام الألباني: "نصر السنة في هذا الزمان".

وثناءات العلماء على الإمام الألباني كثيرةٌ تحتاج إلى بحث مستقل، ونكتفي منها بما قدمنا

وفاة الإمام الألباني:

إن الموت هو مصير كل إنسان، فلا خلود لأحد في الدنيا، والحياة الحقيقية هي حياة الآخرة، فإما نعيم وإما جحيم، ولئن مات الإمام الألباني وغاب جسده، فإن علمه وذكره ومنهجه لم يمت ولن يموت أبدًا بإذن الله، وكما قال الشاعر:

قد مات قوم وما ماتت فضائلهم

وعاش قوم وهم في الناس أحياء

أصيب الإمام الألباني في آخر عمره بمرض السرطان الذي أثَّر في أمعائه، وظل المرض يشتدُّ حتى توفي الإمام الألباني رحمه الله تعالى بعد عصر يوم السبت 22 جمادى الآخرة عام 1420هجرية، الموافق الثاني من أكتوبر عام1999ميلادية، وبدأ أقرباء الإمام الألباني بتجهيزه للدفن، وطار خبر وفاته كل مطار، وتوافد طلبة العلم لحضور جنازته، وتنفيذًا لوصية الإمام الألباني تم تجهيزه على وجه السرعة، وحمل إلى المقبرة، فإذا بآلاف الناس تنتظره للصلاة عليه رغم أنه لم يمضِ على وفاته إلا ساعات قليلة، وصلى عليه الشيخ محمد إبراهيم شقرة، ودفن الإمام الألباني في مقبرة جبل الهملان قرب منزل الإمام رضي الله عنه، وبذلك غاب قمر من أقمار أمتنا، ومات مجدد الزمان ومحدِّث العصر، ولكن بقي علمه ومنهجه ومؤلفاته تدرس إلى قيام الساعة، ومات الإمام ولكنه سقانا بعلم يسد الثغور.

قصائد في مدح الإمام الألباني:

قال خالد جمعة الخراز يمدح الإمام الألباني:

إن الذي ينصر شريعة ربنا

ينصر كما قد قاله الوحيان

ولقد رأينا من محدث عصرنا

أعني المحدث ناصر الألباني

نشر العلوم بعصرنا يا حبذا

من ناشر لشريعة المنان

ترك التعصب للمذاهب كلها

نصر الأئمة شيعة الرحمن

نفع الإله بعلمه رغم الذي

قد قاله ذو الحقد والأضغان

قالوا قريض الشعر قلت أحبه

لا سيما في ناصر الألباني

علم الزمان فلست أزري حقه

شيح المشايخ ذو النهى رباني

فهو المجدد للزمان وقد أتى

خبر صحيح ينتهي للداني

هذه السيرة المشرقة الناصعة هي صورة إمام المحدثين وشيخ الشيوخ محدث العصر الإمام العلامة الحبر محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى.

لقد سطر الإمام الألباني نموذجًا فريدًا في طريق العلم وسجلات العلماء.

وبهذا نكون قد أنهينا ما أردناه من كتابة سيرة هذا البحر الجليل الإمام الكبير الألباني رضي الله عنه وأرضاه، وجزاه خير الجزاء وأحسن الثواب، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليمًا كثيرًا.

ختامه مسك

والآن بعد أن خضنا في بحر حياتهم وتطيبنا بشذى سيرتهم وعلمهم

وبعد أن تكونت لدينا الخلاصة النافعة في سيرة هؤلاء الأئمة الاعلام والسادة الكرام

بقي علينا الجزء الأهم وهو الاستفادة مما قرأناه في حياتنا ومعاشنا وطلبنا للعلم ومعاملاتنا

فإن القراءة المجردة لا تسمن ولا تغني من جوع وإنما تنفع المطالعة إذا اقترنت بالتطبيق العملي فعندها تؤتي ثمارها كل حين بإذن ربها

والمعروف أن قراءة سير الصالحين والعلماء العاملين إنما هي الاقتداء بفعالهم والاستفادة من كلامهم وإلا صارت قراءة مجردة لا نفع فيها ولا فهم

ولقد ارشدنا الله جل ثناؤه إلى سبيل الاستفادة قصصهم وبين أن فيها الحكمة والنفع فقال تقدست اسماؤه:(لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب)

فأكد سبحانه على وجود العبرة في قصصهم ولكنه بين أنه لا يسترشد بها إلا أولوا الألباب وفي هذا سر عظيم لمن تدبر

ورحم الله من قال:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم

إن التشبه بالكرام فاتح

فاحرص أخي الحبيب بعد أن أتممت القراءة ووعيت المقالة أن تكون ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

ولتجعل نصب عينيك الاستفادة من هذا الكتاب والتشبه بأولئك العلماء العاملين لتكون-إن شاء الله-من حزب الله المفلحين وعباده الصالحين المصلحين

وفي الختام اسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يغفر لي ولوالدي ولأحبابي ومشايخي والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات

وصلى الله على سيدنا النبي الأمي محمد وعلى آله الهاشميين وأصحابه الغر الميامين ومن تبعهم وحمل لوائهم إلى يوم الدين

وكتبه:عبدالله ميزر الحداد

٢٩جمادى الأولى ١٤٤٤

٢٣كانون الأول ٢٠٢٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة
شبكة الألوكة - قسم الكتب